أبو الفرج بن الجوزي

أخبار الحمقى والمغفلين

الكتاب: أخبار الحمقى والمغفلين

الكاتب: أبو الفرج بن الجوزي

الطبعة: ٢٠٢٣



الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة - جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www. bookapa.com **E-mail: info@bookapa.com**

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

ابن الجوزي ، أبو الفرج

أخبار الحمقى والمغفلين / أبو الفرج بن الجوزي

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

١٨٨ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولى: ٩ – ٥٩٩ – ٩٩١ – ٩٧٧- ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ١٧٤٢٣ / ٢٠٢٢

أخبار الحمقى والمغفلين



مقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان علَّمه البيان، وفضَّله على خلقه بنعمة العقل واللسان، والصلاة والسلام على من أيَّده بالقرآن، مُحَمَّد بن عبد الله خير سلالة عدنان، وآله وصحبه نجوم الهُدَى والعرفان.

وبعد، فقد رأيت بخزانة المرحوم أحمد باشا تيمور بدار الكتب الملكية نسخةً مخطوطة من كتاب نوادر الحمقى والمغفلين للإمام ابن الجوزي رحمه الله، منسوخة عن نسخة بالمكتبة الظاهرية بدمشق، غير أنها كثيرة الغلطات كبيرة السقطات لعدم عناية ناسخها بمراجعتها بالدقة، فاستخرت الله تعالى وقدمتها للطبع بعد أن بذلت الجهد في تصحيحها وتحقيق عباراتها، وراجعت كثيرًا من المظانِّ في كتب الأدب والسِّيَر التي نقلت كثيرًا عن هذا الكتاب القيم لمناسبات عِدَّة، وعلَّقت على حواشيها ما استغلق من ألفاظها مشروحًا سهلًا ليغني المطالع عن المراجعة ويسفر عن وجوه معانيها الغر.

فجاءت بحمد الله خالية من الأسقام وافية بالمرام.

غير أنه – رحمه الله – التزم أن يأتي قبل كل حديث أو حكاية بسند طويل – كما هي عادة المؤلفين في عصره – وذلك يضاعف حجم الكتاب وليس له كبير فائدة الآن للقراء؛ لتباعُد زمن رجاله، ولأن الكتاب لا يتعلق بأحاديث تُحقَّق، أو آيات تُفسَّر أو أحكام تُدوَّن.

بل هو فكاهة وسمر وموعظة وعبر.

لذلك أتيت – على سبيل المثال – بالسند الأول والثاني من الكتاب ليكون نموذجًا للمُطَّلع، وليعلم سبيل المؤلف في نهجه الذي انتحاه، وتجاوزت عن الأسانيد في باقي الكتاب مكتفيًا بالراوي الأخير الذي أسند عنه الحكاية أو الحديث.

وقد تنبَّه لذلك قبلي حضرة الأديب المفضال حسام الدين أفندي القدسي في طبعته الأولى للكتاب، فحذف الأسانيد جميعها، غير أنه لم ينبه على ذلك وإن كانت عنايته بالكتاب ظاهرة في بحثه وتحقيقه، جزاه الله عن الأدب خيرًا.

وإني أقرر في هذا المكان لابن الجوزي رحمه الله حسنةً من حسناته العديدة بتأليفه مثل هذا الكتاب الفَكِه؛ لأن النفوس إذا حُمِلَتْ دائمًا على الجد البحت ملَّت وحرنت، ولأن العظة أقرب فيه للنفس والفائدة مرجوَّة منه، وقد كتب فيه صاحب العِقد الفريد والأغاني وغيرهما في ثنايا مؤلَّفاتهم نبذًا يسيرة جاءت عفوًا، غير أنه لم يفرد أحد بالتأليف قبل ابن الجوزي هذه المُلَح والفكاهات كتابًا بالمعنى المفهوم، فله في ذلك قصب السَّبْق، أسأله تعالى أن يجعل عملنا خالصًا لوجهه الكريم إنه سميع مجيب.

تحريرًا في شهر جمادى الأولى سنة ١٣٤٧هـ الموافق شهر نوفمبر سنة ١٩٢٨م.

عثمان خليل

كلمة عن مؤلف الكتاب

هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن مُحَمَّد بن علي بن عبيد الله ابن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن مُحَمَّد بن جعفر الجوزي بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن مُحَمَّد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، القرشي التيمي البكري البغدادي الفقيه الحنبلي الملقَّب جمال الدين الحافظ.

كان إمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ وارتجال الخطب.

صنَّف في فنون عدة ومعظم مؤلَّفَاته في العلوم الشرعية والوعظ، وله مؤلفات في الطب والجغرافيا وغير ذلك!

وقد قيل: «لو جمعت الكراريس التي كتبها وحسبت مدة عمره وقسمت عليها الكراريس، لخص كل يوم بتسعة كراريس.» وهذا شيء يستعظمه العقل.

وقد جمَع براية أقلامه التي كتب بها الحديث وأوصى أن يسخَّن بها الماء الذي يغسل به بعد موته فكفت وفضل منها.

وتمتاز كتبه بمتانة العبارة وفصاحتها وصحة الأسلوب ورشاقته ودقة المعنى وسلاسة اللفظ؛ مما ينبغي للمولَعين بالإنشاء مطالعتها والتأمل فيها، فإنها من خير ما يربي ملكة الفصاحة في نفوسهم.

ويغلب أن يودعها وقائع اتفقت له وحوادث صح نقلها إليه، فهو

يستشهد بها فتزيد الموضوع وضوحًا وتُكسِبه جمالًا ورونقًا.

ولم يطبع من مؤلفاته إلا النزر اليسير، ومعظمها لم يزل مبعثرًا في مكاتب أوروبا ومصر وإستامبول.

ومن أشهر مصنَّفاته التي لم تطبع تاريخه الكبير المسمى «المنتظم في تاريخ الأمم»، وهو أجزاء متفرّقة في مكاتب العالم ومنها جزء في المكتبة الملكية بمصر يقع في ٥٠٠ صفحة تتضمن تاريخ ستين سنة فكم يبلغ حجمه!

وقد قال في كتابه دفع شبهة التشبيه إن مصنفاته بلغت ٢٥٠ مصنفًا. ومن لطيف شعره يخاطب أهل بغداد:

عُــذَيْرِي مِــنْ فِتْيَــةٍ بِالْعِــرَاقِ قُلُــوبُهُمْ بِالْجَفَــا قُلَّــبُ

يَــرَوْنَ الْعَجِيــبَ كَــلَامَ الْغَرِيــبِ وَقَــوْلَ الْقَرِيــبِ فَــلَا يُعْجِــبُ

مَيَــازِيبُهُمْ إِنْ تَنَــدَّتْ بِخَــيْرٍ إِلَى غَــيْرِ جِــيرَانِهِمْ تُقْلَــبُ

وَعُــذْرُهُمْ عِنْــدَ تَــوْبِيخِهِمْ «مُغَنِّيَــةُ الْحَــيِّ لَا تُطْــرِبُ»

ومن أحسن ما يُحكى من نوادره وسعة معرفته أنه وقع نزاع ببغداد بين أهل السنة والشيعة في المفاضلة بين أبي بكر وعلي رضي الله عنهما، فرضي الكل بما يجيب به ابن الجوزي، فأقاموا شخصًا يسأله في مجلس وعظه فقال: «أفضلهما من كانت ابنته تحته.» ونزل في الحال حتى لا يراجَع في السؤال، وكان ذلك بديهة بدون رَوِيَّةٍ ولا تفكير فجاء في غاية الحسن والدقة، وقال السُّنِّيَّةُ: «إنه أراد أبا بكر لأن عائشة ابنته تحته.» وقال

الشيعة: «أراد عليًّا لأن ابنته فاطمة تحته.»

ولقد كان رحمه الله آية الزمان في الوعظ والترغيب وهداية الخلق، ولنسوق لك فصلًا كتبه أكبر سائح في العرب وأصدقهم لهجةً فيما روى وكتب، وهو الرحالة ابن جبير الأندلسي الذي دخل بغداد سنة ٥٨٠ وحضر مجالس وعظه ووصفها بدقة المشاهد المنصف والمؤرخ الصادق قال:

ثم شاهدنا مجلسًا ثانيًا له بكرة يوم الخميس بباب بدر في ساحة قصر الخليفة، ومناظره مشرفة عليه، وهذا الموضع المذكور وهو من حرم الخليفة قد خص ابن الجوزي بالوصول إليه والتكلم فيه؛ ليسمعه من تلك المناظر الخليفة نفسه ووالدته ومن حضر من الحرم، ثم يُفتح الباب للعامة فيدخلون إلى ذلك الموضع وقد بُسِطَ بالحصر، وجلوس ابن الجوزي بهذا الموضع في كل يوم خميس، فبكرنا لمشاهدته بهذا المجلس وقعدنا إلى أن وصل هذا الحبر المتكلم، فصعد المنبر وأزاح طيلسانه عن رأسه متواضعًا لحرمة المكان وقد تسطَّر قراء القرآن أمامه (أي اصطفوا) على كراسيَّ موضوعة، فابتدروا القراءة على الترتيب فشوَّقوا ما شاءوا وأطربوا ما أرادوا، وبادرت العيون بإرسال الدموع، فلما فرغوا من القراءة – وقد أحصينا لهم تسع آيات من سور مختلفات – صدع ابن الجوزي إذ ذاك بخطبته الزهراء، وأتى بأوائل الآيات في أثنائها منتظمات ومشى الخطبة على فقرة آخر آية منها في الترتيب، إلى أن أكملها وكانت الآية اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ، فتمادى على هذه السين وحسَّن أي تحسين فكان يومه هذا أعجب من أمسه، ثم أخذ في الثناء على

الخليفة والدعاء له ولوالدته وكنَّى عنها (بالستر الأشرف والجناب الأرأف) وكان الخليفة يومئذٍ الناصر لدين الله الذي جدَّد شباب الخلافة العباسية بعد الهرم، ثم سلك سبيله في الوعظ.

كل ذلك بديهة لا روية ويصل كلامه في ذلك بالآيات التي كان قرأها القُرَّاء من قبلُ في المجلس، فأرسلت وابلها العيون وأبدت النفوس سر شوقها المكنون، وتطارح الناس عليه بذنوبهم معترفين وبالتوبة معلنين، وطاشت الألباب والعقول، وكثر الوله والذهول، وصارت الناس لا تملك تحصيلًا ولا تميّز معقولًا ولا تجد للصبر سبيلًا، ثم في أثناء مجلسه كان ينشد أشعارًا من النسيب مبرحة التشويق بديعة الترقيق تشعل القلوب وجدًا، ويعود موضعها الغزلي زهدًا، وكان آخر ما أنشده من ذلك وقد أخذ المجلس مأخذه من الاحترام قوله:

أَيْنَ فُؤَادِي أَذَابَهُ الْوَجْدُ ... وَأَيْنَ قَلْبِي فَمَا صَحَا بَعْدُ

يَا سَعْدُ زِدْنِي جَوًى بِذِكْرِهِمْ ... بِاللهِ زِدْنِي فُدِيتَ يَا سَعْدُ

ولم يزل يردد هذه الأبيات والانفعال قد أثَّر فيه والمدامع تكاد تمنع خروج الكلام من فيه، إلى أن خاف الإفحام فابتدر القيام ونزل عن المنبر عجِلًا وقد أطار القلوب وجلًا، وترك الناس على أحر من الجمر يشيعونه بالمدامع الحُمر، فمن معلن بالانتحاب ومن متعفر بالتراب، فيا له من مشهد ما أهول مرآه! وما أسعد من رآه! نفعنا الله ببركته وجعلنا ممن فاز بنصيب من رحمته.

قال ابن جبير:

وما كنا نحسب أن متكلمًا في الدنيا يُعطى من ملك النفوس والتلاعب فيها ما أُعطِيَ هذا الرجل، فسبحان من يخص في الكلام من يشاء من عباده! ا.هـ.

ومن غرر مؤلفاته التي طبعت أخيرًا كتاب «نقد العلماء» و«المدهش» و«صيد الخاطر» و«دفع شبهة التشبيه» و«تاريخ عمر بن الخطاب» و«مناقب الإمام أحمد بن حنبل» إلى كثير من الرسائل، وكلها تدل على علو كعبه في التأليف وغزارة علمه.

وُلِد رحمه الله سنة ٥٠٨هـ، وقيل ٥١٠هـ، وتوفي ليلة الجمعة ١٢ من شهر رمضان سنة ٥٩٧هـ ودُفن بباب حرب ببغداد.

وكان يوم وفاته يومًا مشهودًا ببغداد، فحشد له الناس جميعًا وشيَّعوه إلى مقره الأخير وتبركوا بالصلاة عليه والسير في جنازته، وازدحم الخلق على قبره يتناوبون الصلاة عليه إلى أن مضى أكثر الليل. وقد قيل: إن كل من أتى بعده عيال عليه في الوعظ والترغيب والإتيان بالرقائق والمنجيات. رحمه الله رحمة واسعة آمين.

الباب الأول

في ذكر الحماقة ومعناها

قال ابن الأعرابي: الحماقة مأخوذة من حمقت السوق إذا كسدت، فكأنه كاسد العقل والرأي فلا يشاور ولا يلتفت إليه في أمر حرب. وقال أبو المكارم: إنما سُمِّيَتِ البقلة الحمقاء لأنها تنبت في سبيل الماء وطريق الإبل. قال ابن الأعرابي: وبها سُمي الرجل أحمق؛ لأنه لا يميز كلامه من رعونته.

فصل: وقد ذكرنا ما يتعلق باللغة في هذا الاسم، ولا يظهر المقصود إلا بكشف المعنى، فنقول: معنى الحمق والتغفيل هو الغلط في الوسيلة والطريق إلى المطلوب مع صحة المقصود، بخلاف الجنون؛ فإنه عبارة عن الخلل في الوسيلة والمقصود جميعًا، فالأحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد ورويته في الطريق الوصال إلى الغرض غير صحيحة، والمجنون أصل إشارته فاسد فهو يختار ما لا يختار، ويبين هذا ما سنذكره عن بعض المغفلين، فمن ذلك: أن طائرًا طار من أمير فأمر أن يغلق باب المدينة! فمقصود هذا الرجل حفظ الطائر.

الباب الثاني

في أن الحمق غريزة

عن أبي إسحاق قال: إذا بلغك أن غنيًّا افتقر فصدِّق، وإذا بلغك أن فقيرًا استغنى فصدِّق، وإذا بلغك أن حيًّا مات فصدق، وإذا بلغك أن أحمق استفاد عقلًا فلا تصدق. عن أبي يوسف القاضي قال: ثلاثٌ صدِّق باثنتين ولا تصدِّق بواحدة، إن قيل لك إن رجلًا كان معك فتوارى خلف حائط فمات فصدِّق، وإن قيل لك إن رجلًا فقيرًا خرج إلى بلدٍ فاستفاد مالًا فصدق، وإن قيل لك إن أحمق خرج إلى بلد فاستفاد عقلًا فلا تصدق.

عن الأوزاعي أنه يقول: بلغني أنه قيل لعيسى ابن مريم عليه السلام: يا روح الله إنك تحيي الموتى؟ قال: نعم بإذن الله. قيل: وتبرئ الأكمه؟ قال: نعم بإذن الله. قيل: فما دواء الحمق؟ قال: هذا الذي أعياني.[١]

قال جعفر بن مُحَمَّد: الأدب عند الأحمق كالماء في أصول الحنظل، كلما ازداد ريًّا زاد مرارة.

قال المأمون: تدرون ما جرى بيني وبين أمير المؤمنين هارون الرشيد؟ كان لي إليه ذنب، فدخلت مسلِّمًا عليه فقال: اعزب يا أحمق. فانصرفت مغضَبًا ولم أدخل إليه أيامًا، فكتب إليَّ رقعة يقول:

لَيْـتَ شِـعْرِي وَقَـدْ تَمَـادَى بِـكَ الْهَجْـ ـــرُ أَمِنْـــكَ التَّفْـــرِيطُ أَمْ كَـــانَ مِـــنِّي

إِنْ تَكُـــنْ خُنْتَنَـــا فَعَنْـــكَ عَفَـــا اللهُ وَإِنْ كُنْـــتُ خُنْـــتُكُمْ فَـــاعْفُ عَـــنِّي

فسرت إليه فقال: إن كان الذنب لنا فقد استغفرناك، وإن كان لك فقد غفرناه. فقلت له: قلت لي: يا أحمق، ولو قلت لي: يا أرعن؛ كان أسهل عليَّ. فقال: ما الفرق بينهما؟ قلت له: الرعونة تتولد عن النساء فتلحق الرجل من طول صحبتهن، فإذا فارقهن وصاحب فحول الرجال زالت عنه، وأما الحمق فإنه غريزة. وأنشد بعض الحكماء:

وَعِـــلَاجُ الْأَبْـــدَانِ أَيْسَـــرُ خَطْبًـــا حِـــينَ تَعْتَـــلُّ مِـــنْ عِـــلَاجِ الْعُقُـــولِ

---

(١) نظم هذا المعنى بعضهم فقال:

لِكُـــلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يُسْـــتَطَبُّ بِـــهِ إِلَّا الْحَمَاقَـــةَ أَعْيَـــتْ مَـــنْ يُـــدَاوِيهَا

الباب الثالث

في ذكر اختلاف الناس في الحمق

وقد ذكرنا أن الحمق فساد في العقل أو في الذهن وما كان موضوعًا في أصل الجوهر فهو غريزة لا ينفعها التأديب وإنما ينتفع بالرياضة، والتأديب من أصل جوهره سليم فتدفع الرياضة العوارض المفسِدة، وبعدُ فإن الناس يتفاوتون في العقل وجوهره ومقدار ما أُعطُوا منه؛ فلهذا يتفاوت الحمق.

قيل لإبراهيم النَّظَّام: ما حد الحمق؟ فقال: سألتني عمَّا ليس له حد.

وتلا عمر هذه الآية: (مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) قال: الحمق يا رب.

وقال علي رضي الله عنه: ليس من أحد إلا وفيه حمقة فيها يعيش.

وقال أبو الدرداء: كلنا أحمق في ذات الله.

وقال وهب بن منبه: خلق الله آدم أحمق ولولا ذلك ما هناه العيش.

وعن مطرف قال: لو حلفت لرجوت أن أبر أنه ليس أحد من الناس إلا وهو أحمق فيما بينه وبين الله عز وجل. وكان يقول: ما أحد من الناس إلا وهو أحمق فيما بينه وبين ربه عز وجل، غير أن بعض الحمق أهون من بعض. وعنه قال: عقول الناس على قدر زمانهم. وكان يقول: هم الناس والنسناس وأرى أناسًا غمسوا في ماء الناس.

وقال: سفيان الثوري: خلق الإنسان أحمق لكي ينتفع بالعيش. وأنشد بعضهم:

لَعَمْـــرُكَ مَـــا شَـــيْءٌ يَفُوتُـــكَ نَيْلُـــهُ بِغُـــبْنٍ وَلَكِـــنْ فِي الْعُقُـــولِ التَّغَـــابُنُ

الباب الرابع

في ذكر أسماء الأحمق

الأحمق، الرقيع، المائق الأزبق، الهجهاجة، الهلباجة، الخطل، الخرف، الملغ، الماج، المسلوس، المأفون، المأفوك، الأعفك، الفقاقة، الهجأة الألق، الخوعم، الألفت، الرطئ، الباحر، الهجرع، المجع، الأنوك، الهبنك، الأهوج، الهبنق، الأخرق، الداعك، الهداك، الهبنقع، المدلَّه، الذهول، الجعبس، الأوره، الهوف، المعضل، الفدم، الهتور، عياياء، طباقاء.

فإذا كان يتجه لشيء في أسماء كثيرة وقريب هذه الأسماء على أحمق وقيل: لو لم يكن من فضيلة الأحمق إلا كثرة أسمائه لكفى.

قال ابن الأعرابي: الرقيع هو الذي يحتاج أن يرقع من حمقه.

وسئل بعض الأعراب: ما الفرق بين الأحمق والمائق؟ فقال: الأحمق مثل الماتح على رأس البئر، والمائق هو مثل الماتح الذي هو أسفل البئر، فبينهما من الجودة في الحماقة ما بين هذين.

والعرب تقول: أحمق ما يتوجه إلى ما يحسن أن يأتي الغائط، والأخرق هو الذي يخرق الأشياء ولا يحسن لها مأتى.

ومن أسماء النساء ذوات الحمق: الورهاء، الخرقاء، الدفنس، الخذعل، الهوجاء، القرئع، الداعكة، الرطيئة.

الباب الخامس

في ذكر صفات الأحمق

صفات الأحمق تنقسم إلى قسمين: أحدهما من حيث الصورة والثاني من حيث الخصال والأفعال.

ذكر القسم الأول: قال الحكماء: إذا كان الرأس صغيرًا رديء الشكل دَلَّ على رداءة في هيئة الدماغ. قال جالينوس: لا يخلو صغر الرأس البتة من دلالة على رداءة هيئة الدماغ، وإذا قصرت الرقبة دلت على ضعف الدماغ وقلته، ومن كانت بنيته غير متناسبة، كان رديئًا حتى في هِمَّته وعقله مثل الرجل العظيم البطل القصير الأصابع، المستدير الوجه، العظيم القامة، الصغير الهامة، اللحيم الجبهة والوجه والعنق والرجلين، فكأنما وجهه نصف دائرة، كذلك إذا كان مستدير الرأس واللحية ولكن وجهه شديد الغلظ وفي عينيه بلادة وحركة، فهو أيضًا من أبعد الناس عن الخير، فإن جحظتا فهو وقح مهذار، فإن كانت العين ذاهبة في طول البدن فصاحبها مكَّار لص، وإذا كانت العين عظيمة مرتعدة فصاحبها كسلان بطَّال أحمق محب للنساء، والعين الزرقاء التي في زرقتها صُفرة كأنها زعفران تدل على رداءة الأخلاق جدًّا، والعين المشبهة لأعين البقر تدل على الحمق وإذا كانت العين كأنها ناتئة وسائر الجفن لاطئ فصاحبها أحمق، وإذا كان الجفن من العين منكسرًا أو متلونًا من غير علة فصاحبها كذَّاب

مكّار أحمق، والشَّعر على الكتفين والعنق يدل على الحمق والجرأة، وعلى الصدر والبطن يدل على قلة الفطنة، ومن طالت عنقه ورقَّت فهو صياح أحمق جبان، ومن كان أنفه غليظًا ممتلئًا فهو قليل الفَهم، ومن كان غليظ الشَّفَة فهو أحمق غليظ الطبع، ومن كان شديد استدارة الوجه فهو جاهل، ومن عظمت أذنه فهو جاهل طويل العمر، وحُسن الصوت دليل على الحمق وقلة الفطنة، واللحم الكثير الصُّلب دليل على غلط الحس والفهم، والغباوة والجهل في الطول أكثر.

ومن العلامات التي لا تخطئ طول اللحية فإن صاحبها لا يخلو من الحمق، وقد روي أنه مكتوب في التوراة: إن اللحية مخرجها من الدماغ فمن أفرط عليه طولها قَلَّ دماغه، ومن قل دماغه قل عقله، ومن قل عقله كان أحمق.

قال بعض الحكماء: الحمق سماد اللحية فمن طالت لحيته كثر حمقه. ورأى بعض الناس لرجل لحية طويلة فقال: والله لو خرجت هذه من نهر ليبس.

وقال الأحنف بن قيس: إذا رأيت الرجل عظيم الهامة طويل اللحية، فاحكم عليه بالرقاعة ولو كان أمية بن عبد شمس.

وقال معاوية لرجل عتب عليه: كفانا في الشهادة عليك في حماقتك وسخافة عقلك ما نراه من طول لحيتك.

وقال عبد الملك بن مروان: من طالت لحيته فهو كوسج في عقله.

وقال غيره: من قصرت قامته وصغرت هامته وطالت لحيته فحقيقًا

على المسلمين أن يُعَزُّوه في عقله.

وقال أصحاب الفراسة: إذا كان الرجل طويل القامة واللحية فاحكم عليه بالحمق، وإذا انضاف إلى ذلك أن يكون رأسه صغيرًا فلا تشك فيه.

وقال بعض الحكماء: موضع العقل الدماغ وطريق الروح الأنف وموضع الرعونة طويل اللحية.

وعن سعد بن منصور أنه قال قلت لابن إدريس: أرأيت سلام بن أبي حفصة؟ قال: نعم رأيته طويل اللحية وكان أحمق.

وعن ابن سيرين أنه قال: إذا رأيت الرجل طويل اللحية لم، فاعلم ذلك في عقله.

قال زياد بن أبيه: ما زادت لحية رجل على قبضته إلا كان ما زاد فيها نقصًا من عقله. قال بعض الشعراء:

إِذَا عَرَضَـــــتْ لِلْفَـــــتَى لِحْيَـــــةٌ ... وَطَالَـــــتْ فَصَـــــارَتْ إِلَى سُـــــرَّتِهْ

فَنُقْصَـــانُ عَقْـــلِ الْفَـــتَى عِنْـــدَنَا ... بِمِقْـــدَارِ مَـــا زَادَ فِي لِحْيَتِـــهْ

ومن صفات الأحمق صغر الأذن، ويعرف الأحمق بمشيه وتردده، وكلام الأحمق أقوى الأدلة على حمقه.

أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن مُحَمَّد قال: بلغني أن المهدي لما فرغ من عيسا باذ ركب في جماعة يسيرة لينظر، فدخل مفاجأة، فأخرج كل من كان هناك من الناس وبقي رجلان خفيًا عن أبصار الأعوان، فرأى المهدي أحدهما وهو دهش لا يعقل. فقال: من أنت؟ قال: أنا أنا أنا. قال:

ويلك! من أنت؟ قال: لا أدري. قال: ألك حاجة؟ قال: لا لا. قال: أخرجوه أخرج الله نفسه. فدُفع في قفاه، فلما خرج قال لغلامه اتبعه من حيث لا يعلم فسل عن أمره ومهنته فإني أخاله حائكًا فخرج الغلام يقفوه، ثم رأى الآخر فاستنطقه فأجابه بقلب قوي ولسان جريء فقال: من أنت؟ فقال: رجل من أبناء رجال دعوتك. قال: فما جاء بك إلى هنا؟ قال: جئت لأنظر هذا البناء الحسن وأتمتع بالنظر وأكثر من الدعاء لأمير المؤمنين بطول المدة وتمام النعمة ونماء العز والسلامة. قال: ألك حاجة؟ قال: نعم خطبت ابنة عم لي فردني أبوها وقال: لا مال لك والناس يرغبون في المال وأنا بها مشغوف. قال: قد أمرت لك بخمسين ألف درهم. قال: جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين قد وصلت فأجزلت الصلة ومننت فأعظمت المنة، فجعل الله باقي عمرك أكثر من ماضيه، وآخر أيامك خيرًا من أولها، ومتعك بما أنعم به وأمتع رعيتك بك. فأمر أن يعجل صلته ووجه بعض خاصته معه وقال: سل عن مهنته فإني أخاله كاتبًا. فجاء الرسول الأول فقال: وجدته حائكًا. وأخبر الآخر قال: وجدته كاتبًا. فقال المهدي: لم يخفَ عليَّ مخاطبة الحائك والكاتب.

وقد روي عن معاوية أنه قال لأصحابه: بأي شيء تعرفون الأحمق من غير مجاورة؟ فقال بعضهم: من قبل مشيته ونظره وتردده. وقال بعضهم: لا بل يعرف حمق الرجل من كنيته ونقش خاتمه فبينما هم يخوضون في حديث الحمقى إذ صاح رجل لرجل: يا أبا الياقوت! فدعا به معاوية فإذا رجل عليه بزة فحاوره ساعة، ثم قال: ما الذي على فص خاتمك؟ فقال: (مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ) فقالوا: يا أمير المؤمنين الأمر كما قلت.

وعن الشافعي أنه قال: إذا رأيت الرجل خاتمه كبير وفصه صغير فذاك رجل عاقل، وإذا رأيت فضته قليلة وفصه كبير فذاك عاجز، وإذا رأيت الكاتب دواته على يساره فليس بكاتب، وإذا كانت على يمينه وقلمه على أذنه فذاك كاتب.

ذكر القسم الثاني: وهو المتعلق بالخصال والأفعال، من ذلك ترك نظره في العواقب وثقته بمن لا يعرفه ولا يخبره، ومنها أنه لا مودة له، ومنها العجب وكثرة الكلام، قال أبو الدرداء: لا يغرنّكم ظرف الرجل وفصاحته، وإن كان مع ذلك قائم الليل صائم النهار إذا رأيتم فيه ثلاث خصال: العُجب، وكثرة المنطق فيما لا يعنيه، وأن يَجِد على الناس فيما يأتي مثله؛ فإن ذلك من علامة الجاهل.

وقال عمر بن عبد العزيز: ما عدمت من الأحمق فلن تعدم خَلتين، سرعة الجواب وكثرة الالتفات.

وتكلم رجل عند معاوية فأكثر الكلام فضجر معاوية، فقال: اسكت. فقال: وهل تكلمت؟!

ومن علامات الأحمق خُلُوُّه عن العلفصحف ذرهم فظن أنهم أصلًا؛ فإن العقل لا بد أن يحرك إلى اكتساب شيء من العلم وإن قل، فإذا غلب السِّنُّ ولم يحصل شيئًا من العلم دل على الحمق، قال الأعمش: إذا رأيت الشيخ ليس عنده شيء من العلم أحببت أن أصفعه.

كان عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب صديقًا للوليد يأتيه ويؤانسه، فجلسا يومًا يلعبان بالشطرنج إذ أتاه الآذن فقال:

أصلح الله الأمير، رجل من أخوالك من أشراف ثقيف قدم غازيًا فأحب السلام عليك. فقال: دعه. فقال عبد الله: وما عليك؟ ائذن له فنظل نحن على لعبنا فادع بمنديل يوضع عليها ونسلم على الرجل ونعود. ففعل، ثم قال: ائذن له. فإذا هو رجل له هيبة وبين عينيه أثر السجود وهو معتمٌّ قد رجل لحيته فسلَّم، ثم قال: أصلح الله الأمير، قدمت غازيًا فكرهت أن أجوزك حتى أقضي حقك. فقال: حيَّاك الله وبارك عليك. ثم سكت عنه فلما أنس أقبل عليه الوليد فقال: يا خال، هل جمعت القرآن؟ قال: لا، كانت شغلتنا عنه شواغل. قال: أحفظت من سنة رسول الله ﷺ ومغازيه وأحاديثه شيئًا؟ قال: لا، كانت شغلتنا عن ذلك شواغل. قال: فأحاديث العرب وأشعارها؟ قال: لا. قال: فأحاديث أهل الحجاز ومضاحيكها؟ قال: لا. قال: فأحاديث العجم وآدابها؟ قال: ذاك شيء ما طلبته. فرفع الوليد المنديل وقال: شاهك. فقال عبد الله بن معاوية: سبحان الله! قال: لا والله ما معنا في البيت أحد. فلما رأى ذلك الرجل خرج وأقبلوا على لعبهم.

ومن خصال الأحمق فرحه بالكذب من مدحه وتأثُّره بتعظيمه وإن كان غير مستحق لذلك. عن الحسن أنه يقول: خفق النعال خلف الأحمق قلما يلبث.

وقال زيد بن خالد: ليس أحد أحمق من غني قد أمن الفقر وفقير قد آيس من الغنى.

وقال الأصمعي: إذا أردت أن تعرف عقل الرجل في مجلس واحد فحدِّثه بحديث لا أصل له، فإن رأيته أصغى إليه وقبِله فاعلم أنه أحمق،

وإن أنكره فهو عاقل.

وقال بعض الحكماء: من أخلاق الحمق العجلة والخفة، والجفاء والغرور، والفجور والسفه، والجهل والتواني، والخيانة والظلم، والضياع والتفريط، والغفلة والسرور، والخيلاء والفخر، والمكر، إن استغنى بطر وإن افتقر قنط، وإن فرح أشر وإن قال فحش، وإن سُئِل بخل وإن سأل ألح، وإن قال لم يحسن وإن قيل له لم يفقه، وإن ضحك نهق وإن بكى خار.

وقال بعض الحكماء: يُعرَف الأحمق بست خصال: الغضب من غير شيء والإعطاء في غير حق، والكلام من غير منفعة والثقة بكل أحد، وإفشاء السر وأن لا يفرق بين عدوه وصديقه، ويتكلم ما يخطر على قلبه ويتوهم أنه أعقل الناس. وقال أبو حاتم بن حيان الحافظ: علامة الحمق سرعة الجواب وترك التثبت والإفراط في الضحك، وكثرة الالتفات والوقيعة في الأخيار، والاختلاط بالأشرار، والأحمق إن أعرضت عنه اعتم وإن أقبلت عليه اغتر، وإن حلمت عنه جهل عليك وإن جهلت عليه حلم عليك، وإن أحسنت إليه أساء إليك وإن أسأت إليه أحسن إليك، وإذا ظلمته أنصفت منه ويظلمك إذا أنصفته، فمن ابتلي بصحبة الأحمق فليُكثر من حمد الله على ما وهب له مما حرمه ذاك.

قال مُحَمَّد الشامي:

لَنَــــا جَلِــــيسٌ تَارِكٌ لِـــــلْأَدَبِ جَلِيسُــــهُ مِـــنْ قَوْلِـــهِ فِي تَعَـــبِ

يَغْضَــبُ جَهْــلًا عِنْــدَ حَــالِ الرِّضَــى وَمِنْــهُ يَرْضَــى عِنْــدَ حَــالِ الْغَضَــبِ

الباب السادس

في التحذير من صحبة الأحمق

قال عليه السلام: لا تؤاخِ الأحمق، فإنه يشير عليك ويجهد نفسه فيخطئ وربما يريد أن ينفعك فيضرك، وسكوته خير من نطقه وبعده خير من قربه وموته خير من حياته.

وقال ابن أبي زياد: قال لي أبي: يا بني، الزم أهل العقل وجالسْهم واجتنب الحمقى، فإني ما جالست أحمق فقمت إلا وجدت النقص في عقلي.

عن عبد الله بن حبيق قال: أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام: «لا تغضب على الحمقى فيكثر غمك.»

وعن الحسن قال: هجران الأحمق قربة إلى الله عز وجل.

عن سلمان بن موسى قال: ثلاثة لا ينتصف بعضهم من بعض: حليم من أحمق، وشريف من دنيء، وبر من فاجر.

وكذلك رُوِينا عن الأحنف بن قيس أنه قال: قال الخليل بن أحمد: الناس أربعة: رجل يدري ويدري أنه يدري فذاك عالم فخذوا عنه، ورجل يدري وهو لا يدري أنه يدري فذاك ناسٍ فذكِّروه، ورجل لا يدري وهو يدري أنه لا يدري فذاك طالب فعلِّموه، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا

يدري فذاك أحمق فارفضوه. وقال أيضًا: الناس أربعة فكلِّم ثلاثة ولا تكلم واحدًا، رجل يعلم ويعلم أنه يعلم فكلمه، ورجل يعلم ويرى أنه لا يعلم فكلمه، ورجل لا يعلم ويرى أنه يعلم فلا تكلمه.

قال جعفر بن مُحَمَّد: الرجال أربعة: رجل يعلم ويعلم أنه يعلم فذاك عالم فتعلموا منه، ورجل يعلم ولا يعلم أنه يعلم فذاك نائم فأنبهوه، ورجل لا يعلم ويعلم أنه لا يعلم فذاك جاهل فعلموه، ورجل لا يعلم ولا يعلم أنه لا يعلم فذاك أحمق فاجتنبوه.

وقد روينا عن أبي يوسف القاضي أنه قال: الناس ثلاثة: مجنون ونصف مجنون وعاقل، فأما المجنون ونصف فأنت معهما في راحة، وأما العاقل فقد كفيت مؤنته.

عن الأعمش أنه قال: معاتبة الأحمق نفخ في تليسة.

عن عبد الله بن داود الحربي أنه قال: كل صديق ليس له عقل فهو أشد عليك من عدوك.

عن بشر بن الحارث أنه قال: النظر إلى الأحمق سخنة عين. وسمعته يقول: يأتي على الناس زمان تكون الدولة فيه للحمقى. وعنه أنه قال: الأحمق سخنة عين غاب أو حضر.

عن شعبة أنه قال: عقولنا قليلة، فإذا جلسنا مع من هو أقل عقلًا منا ذهب ذلك القليل، فإني لأرى الرجل يجلس مع من هو أقل عقلًا منه فأمقته.

قال بعض الحكماء: مؤنة العاقل على نفسه ومؤنة الأحمق على الناس، ومن لا عقل له فلا دنيا له ولا آخرة.

قال حكيم آخر: ليس كل أحد يحسن يعامل الأحمق وأنا أحسن أعامله. قيل له: كيف؟ قال: أبخسه حتى يطلب الحق بعينه؛ إذ متى أعطيته حقه طلب ما هو أكثر منه. وأنشدوا:

اتَّقِ الْأَحْمَقَ أَنْ تَصْحَبَهُ	إِنَّمَا الْأَحْمَقُ كَالثَّوْبِ الْخَلِقْ
كُلَّمَا رَقَّعْتَ مِنْهُ جَانِبًا	خَرَّقَتْهُ الرِّيحُ وَهْنًا فَانْخَرَقْ
أَوْ كَصَدْعٍ فِي زُجَاجٍ فَاحِشٍ	هَلْ تَرَى صَدْعَ زُجَاجٍ يُرْتَتَقْ
كَحِمَارِ السُّوقِ إِنْ أَقْضَمْتَهُ	رَمَحَ النَّاسَ وَإِنْ جَاعَ نَهَقْ
أَوْ غُلَامِ السُّوءِ إِنْ أَسْغَبْتَهُ[1]	سَرَقَ النَّاسَ وَإِنْ يَشْبَعْ فَسَقْ
وَإِذَا عَاتَبْتَهُ كَيْ يَرْعَوِي	أَفْسَدَ الْمَجْلِسَ مِنْهُ بِالْخُرُقْ

(١) السغب: الجوع وفي القرآن ذِي مَسْغَبَةٍ شديد الجوع.

الباب السابع

في ضرب العرب المثل بمن عُرِف حمقه

العرب تضرب المثل للأحمق تارة بمن قد عُرِف حمقه من الناس، وتارة بما يُنسَب إلى سوء التدبير من البهائم والطير، وتارة بما لا يقع منه فعل، ولكن لو تُصُوِّرَ له فعل كان ما ظهر منه حمقًا.

فأما ضربهم المثل بمن قد عُرِفَ حمقه فقال أبو هلال العسكري: تقول العرب: «أحمق من هبنقة» وستأتي أخباره، و«أحمق من حذنة» قيل هو رجل بعينه، وقيل هو الصغير الأذن الخفيف الرأس القليل الدماغ، وكذلك يكون الأحمق، وقيل: حذنة امرأة كانت تمتخط بكوعها. وتقول العرب: «أحمق من أبي غبشان»، و«أحمق من جحا»، و«أحمق من عجل بن لجيم» و«أحمق من حجينة» وهو رجل من بني الصداء، و«أحمق من بيهس»، و«من مالك بن زيد مناه» ومن «عدي بن حباب»، و«أحمق من الممهورة إحدى خدمتيها».

وأما ذكرهم للبهائم فيقولون: «أحمق من الضبع»، و«أحمق من أم عامر»، و«أحمق من نعجة على حوض»؛ لأنها إذا وردت الماء أكبَّت عليه ولا تنثني، و«أحمق من ذئبة» لأنها تدع ولدها وترضع ولد الضبع.

وأما ذكرهم الطير فيقولون: «أحمق من حمامة»؛ لأنها لا تُصلح عشها

وربما سقط بيضها فانكسر، وربما باضت على الأوتاد فيقع البيض، و«أحمق من نعامة»؛ لأنها إذا مرت ببيض غيرها حضنته وتركت بيضها[1] و«أحمق من رخمة»، و«أحمق من عقعق»؛ لأنه يضيع بيضه وفراخه و«أحمق من كروان»؛ لأنه إذا رأى أناسًا سقط على الطريق فيأخذونه.

ومن الموصوف بالحمق من الحيوان: الحبارى، والنعجة، والبعير، والطاووس، والزرافة.

وأما ضربهم المثل بمن لا فعل له كقولهم «أحمق من رجلة» وهي البقلة الحمقاء؛ لأنها تنبت في مجاري السيل.

---

(١) ومن حمقها أنها تدفن رأسها في الرمل وتظن أنها اختفت بذلك عن الصياد.

الباب الثامن

في ذكر أخبار من ضرب المثل بحمقه وتغفيله

هؤلاء ينقسمون إلى رجال ونساء؛ فمنهم هبنقة واسمه يزيد بن ثروان ويقال ابن مروان أحد بني قيس بن ثعلبة، ومن حمقه أنه جعل في عنقه قلادة من ودع وعظام وخزف وقال: أخشى أن أضل نفسي ففعلت ذلك لأعرفها به. فحُوِّلَت القلادة ذات ليلة من عنقه لعنق أخيه فلما أصبح قال: يا أخي أنت أنا فمن أنا؟

وأضلَّ بعيرًا فجعل ينادي: من وجده فهو له. فقيل له: فلم تَنشُده؟ قال: فأين حلاوة الوجدان؟! وفي رواية: من وجده فله عشرة. فقيل له: لِمَ فعلت هذا؟ قال: للوجدان حلاوة في القلب.

واختصمت طفاوة وبنو راسب في رجل ادَّعى كل فريق أنه في عِرَافتهم، فقال هبنقة: حكمه أن يُلقى في الماء فإن طفا فهو من طفاوة وإن رسب فهو من راسب. فقال الرجل: إن كان الحكم هذا فقد زهدت في الديوان. وكان إذا رعى غنمًا جعل يختار المراعي للسمان ويُنحِي المهازيل ويقول: لا أصلح ما أفسده الله.

ومنهم أبو غبشان، وهو رجل من خزاعة كان يلي الكعبة، فاجتمع مع قصي بن كلاب بالطائف على الشرب، فلما سكر اشترى منه قصي

ولاية البيت بزِقِّ خمر، وأخذ منه مفاتيحه وسار بها إلى مكة وقال: يا معشر قريش، هذه مفاتيح بيت أبيكم إسماعيل ردَّها الله عليكم من غير غدر ولا ظلم. وأفاق أبو غبشان فندم فقيل: «أندم من أبي غبشان» وأخسر من أبي غبشان، وأحمق من أبي غبشان. قال بعضهم:

بَاعَتْ خُزَاعَةُ بَيْتَ اللهِ إِذْ سَكِرَتْ ... بِزِقِّ خَمْرٍ فَبِئْسَتْ صَفْقَةُ الْبَادِي

بَاعَتْ سِدَانَتَهَا بِالْخَمْرِ وَانْقَرَضَتْ ... عَنِ الْمُقَامِ وَضَلَّ الْبَيْتُ وَالنَّادِي

ثم جاءت خزاعة فغالبوا قصيًّا فغلبهم.

ومنهم «شيخ مهو» وهي قبيلة من عبد القيس واسمه عبد الله بن بيدرة، وكانت إياد تُعيَّر بالفسو، فقال رجل منهم بعكاظ ومعه برد حبِرة فنادى؟ ألا إنني من إياد فمن يشتري مني عار الفسو ببرديَّ هذين. فقام عبد الله بن بيدرة فقال: أنا. واتَّزر بأحدهما وارتدى بالآخر وأشهد الإيادي عليه أهل القبائل، وانصرف عبد الله إلى قومه فقال: جئتكم بعار الأبد. فلزم العار بذلك عبد القيس.

ومنهم عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، من حمقه أنه قيل له: ما سميت فرسك؟ فقام إليه ففقأ إحدى عينيه وقال: سميته الأعور. قال العنزي:

رَمَتْنِي بَنُو عِجْلٍ بِدَاءِ أَبِيهِمُ ... وَأَيُّ امْرِئٍ فِي النَّاسِ أَحْمَقُ مِنْ عِجْلِ

أُلْبِسَ أَبُوهُمْ عَارَ عَيْنِ جَوَادِهِ ... فَصَارَتْ بِهِ الْأَمْثَالُ تُضْرَبُ بِالْجَهْلِ

ومنهم «حمزة بن بيض» عن أبي طالب عمر بن إبراهيم أنه قال: دعا

حمزة بن بيض حجَّامًا وكان الحجام ثقيلًا كثير الكلام، فلما أرهف المشاريط قال له: الساعة توجعني! قال: لا. قال: فانصرفِ اليوم. قال: لا تفعل فإنك محتاج إلى إخراج الدم وذلك بين في وجهك وهي سُنَّة نبوية. قال: انصرف وعد إليَّ غدًا. قال: لست أدري ما يحدث إلى غد والمشاريط حادة، وإنما هي لحظة. قال: إن كان كما تقول فأعطني فردة بيضة من خصيتك تكون في يدي رهينة إن أوجعتني أوجعتك. فقام الحجَّام وقال: أرى أن تدع الحجامة في هذا العام. وانصرف.

عن مُحَمَّد بن العلاء الكاتب أنه قال: قال حمزة بن بيض لغلام له: أي يوم صلينا الجمعة في الرُّصَافة؟ ففكَّر الغلام ساعة، ثم قال: يوم الثلاثاء. وقيل لحمزة بن بيض: كم تشرب من النبيذ؟ قال: أكثر من رطلين شيء.

ومنهم «أبو أسيد» عن مُحَمَّد بن رجاء قال: قال أبو أسيد وحدَّث بحديث: كان ذلك في خلافة المهدي قبل موت المنصور. وقال: مر على أبي أسيد بعيران فقال قوم كانوا حوله: ما أفرههما! فقال أبو أسيد: أحدهما أفره من الآخر. قالوا: أيهما أفره؟ قال: القدامي أفره من الأول. وعزى أبا أسيد رجل عن مصيبته فقال له: رزَقنا الله مكافأتك. وعن مُحَمَّد بن عبد المطلب قال: قال أبو أسيد ونظر إلى رجل نائم: قم فكم تنام كأنك بعير ناد! وقيل لأبي أسيد حدثنا عن ابن عمر فقال: كان يحف شاربه حتى يبدو بياض إبطيه.

ومنهم «جحا» ويكنى أبا الغصن، وقد روي عنه ما يدل على فطنة وذكاء، إلا أن الغالب عليه التغفيل، وقد قيل: إن بعض من كان يعاديه

وضع له حكايات والله أعلم. عن مكي بن إبراهيم أنه يقول: رأيت جحا رجلًا كيسًا ظريفًا، وهذا الذي يقال عنه مكذوب عليه، وكان له جيران مخنثون يمازحهم ويمازحونه فوضعوا عليه. وعن أبي بكر الكلبي أنه قال: خرجت من البصرة فلما قدمت الكوفة إذا أنا بشيخ جالس في الشمس فقلت: يا شيخ أين منزل الحكم؟ فقال لي: وراءك. فرجعت إلى خلفي، فقال: يا سبحان الله! أقول لك وراءك وترجع خلفك! أخبرني عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى: (وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا). قال: بين أيديهم. فقلت أبو من؟ قال: أبو الغصن. فقلت: الاسم؟ قال: جحا. وقد رويت لنا هذه الحكاية على غير هذه الصفة.

وعن عباد بن صهيب قال: قدمت الكوفة لأسمع من إسماعيل بن خالد، فمررت بشيخ جالس فقلت: يا شيخ كيف أمر إلى منزل إسماعيل بن خالد؟ فقال: إلى ورائك. فقلت: أرجع؟ فقال: أقول لك وراءك وترجع! فقال: أليس ورائي خلفي؟ قال: لا. ثم قال: حدثني عكرمة عن ابن عباس (وَكَانَ وَرَاءَهُمْ) أي بين أيديهم. قال: قلت: بالله من أنت يا شيخ؟ قال: أنا جحا.

قال المصنف: وجمهور ما يروى عن جحا تغفيل نذكره كما سمعناه.

عن أبي الحسن قال رجل لجحا: سمعت من داركم صراخًا! قال: سقط قميصي من فوق. قال: وإذا سقط من فوق؟ قال: يا أحمق لو كنت فيه أليس كنت قد وقعت معه؟

وحكى أبو منصور الثعالبي في كتاب غرر النوادر قال: تأذَّى أبو

الغصن جحا بالريح مرة فقال يخاطبها: ليس يعرفك إلا سليمان بن داود الذي حبسك حتى أكلت خراك.

وخرج يومًا من الحمام في يوم بارد فضربته الريح فمس خصيته، فإذا إحدى بيضتيه قد تقلصت فرجع إلى الحمام وجعل يفتش الناس فقالوا: ما لك؟ فقال: قد سرقت إحدى بيضتيَّ، ثم إنه دُفِّئَ وحمي فرجعت البيضة، فلما وجدها سجد شكرًا لله وقال: كل شيء لا تأخذه اليد لا يُفقَد.

ومات جار له فأرسل إلى الحفار ليحفر له، فجرى بينهما لجاج في أجرة الحفر، فمضى جحا إلى السوق واشترى خشبة بدرهمين وجاء بها فسئل عنها فقال: إن الحفار لا يحفر بأقل من خمسة دراهم، وقد اشترينا هذه الخشبة بدرهمين لنصلبه عليها، ونربح ثلاثة دراهم ويستريح من ضغطة القبر ومسألة منكر ونكير.

وحكي: أن جحا تبخر يومًا فاحترقت ثيابه فغضب وقال: والله لا تبخرتُ إلا عريانًا.

وهبت يومًا ريح شديدة فأقبل الناس يدعون الله ويتوبون فصاح جحا: يا قوم لا تعجلوا بالتوبة وإنما هي زوبعة وتسكن.

وذكر أنه اجتمع على باب دار أبي جحا تراب كثير من هدم وغيره فقال أبوه: الآن يلزمني الجيران برمي هذا التراب واحتاج إلى مؤنة وما هو بالذي يصلح لضرب اللبن، فما أدري ما أعمل به. فقال له جحا: إذا ذهب عنك هذا المقدار فليت شعري أي شيء تحسن؟ فقال أبوه: فعلمنا أنت ما تصنع به. فقال: يحفر له آبار ونكبسه فيها.

واشترى يومًا دقيقًا وحمله على حمَّال، فهرب الحمال بالدقيق فلما كان بعد أيام رآه جحا فاستتر منه فقيل له: ما لك فعلت كذا؟ فقال: أخاف أن يطلب مني كِرَاه.

ووجهه أبوه ليشتري رأسًا مشويًّا فاشتراه وجلس في الطريق فأكل عينيه وأذنيه ولسانه ودماغه وحمل باقيه إلى أبيه فقال: ويحك! ما هذا؟ فقال: هو الرأس الذي طلبته، قال: فأين عيناه؟ قال: كان أعمى. قال: فأين أذناه؟ قال: كان أصم. قال: فأين لسانه؟ قال: كان أخرس. قال: فأين دماغه؟ قال: كان أقرع. قال: ويحك! رده وخذ بدله. قال: باعه صاحبه بالبراءة من كل عيب.

وحكي: أن جحا دفن دراهم في صحراء وجعل علامتها سحابة تظلها. ومات أبوه فقيل له: اذهب واشتر الكفن. فقال: أخاف أن أشتري الكفن فتفوتني الصلاة عليه.

وحكي: أن المهدي أحضره ليمزح معه، فدعا بالنطع والسيف فلما أُقعِد في النطع قال للسياف: انظر لا تصب محاجمي فإني قد احتجمتُ.

ورأوه يومًا في السوق يعدو فقالوا: ما شأنك؟ قال: هل مرت بكم جارية رجل مخضوب اللحية؟

واجتاز يومًا بباب الجامع فقال: ما هذا؟ فقيل مسجد الجامع. فقال: رحم الله جامعًا ما أحسن ما بنى مسجده!

ومر بقوم وفي كمه خوخ، فقال: من أخبرني بما في كمي فله أكبر خوخة. فقالوا: خوخ. فقال: ما قال لكم هذا إلا من أمه زانية.

وسمع قائلًا يقول: ما أحسن القمر! فقال: أي والله خاصة في الليل.

وقال له رجل: أتحسن الحساب بإصبعك؟ قال: نعم. قال: خذ جريبين حنطة. فعقد الخنصر والبنصر، فقال له: خذ جريبين شعيرًا. فعقد السبابة والإبهام وأقام الوسطى، فقال الرجل: لِمَ أقمت الوسطى؟ قال: لئلا يختلط الحنطة بالشعير.

ومر يومًا بصِبيانٍ يلعبون ببازي ميت فاشتراه منهم بدرهم وحمَله إلى البيت فقالت أمه: ويحك! ما تصنع به وهو ميت؟ فقال لها: اسكتي فلو كان حيًّا ما طمعت في شرائه بمائة درهم.

وخرج أبوه مرة إلى مكة فقال له عند وداعه: بالله لا تُطِل غيبتك واجتهد أن تكون عندنا في العيد لأجل الأضحية.

ومنهم «مزبد»[١] قال أبو زيد: قيل لمزبد إن فلانًا الحفَّار قد مات. فقال: أبعده الله! مَن حفر حفرة سوء وقع فيها.

وقال مزبد لرجل: أيَسُرُّك أن تُعطَى ألف درهم وتسقط من فوق البيت؟ قال: لا. قال مزبد: ودِدت أنها لي وأسقط من فوق الثريا. فقال له الرجل: ويلك! فإذا سقطت مت. قال: وما يدريك! لعلي سقطت في التبانين أو على فرش زبيدة.

وقيل له: أيَسُرك أن تكون هذه الجبة لك؟ قال: نعم وأضرب عشرين سوطًا. قالوا: ولِمَ تقول هذا؟ قال: لأنه لا يكون شيء إلا بشيء.

ومنهم «أزهر الحمار» كان جالسًا بين يدي الأمير عمرو بن الليث

يومًا يأكل بطيخًا فقال له عمرو: كيف طعمه يا أزهر: أحلو هو؟ قال: ما أكلت الخرا قط؟

وقدم على الأمير عمرو رسول من عند السلطان فأحضر مائدته فقال لأزهر: جمِّلْنا بسكوتك اليوم. فسكت طويلًا، ثم لم يصبر فقال: بنيت في القرية برجًا ارتفاعه ألف خطوة. فأومأ إليه حاجبه أن اسكت. فقال له الرسول: في عرض كم؟ قال: في عرض خطوة، فقال له الرسول: ما كان ارتفاعه ألف خطوة لا يكفي عرضه خطوة. قال: أردت أن أزيد فيه فمنعني هذا الواقف.

وقدم رسول آخر فقيل لأزهر: لا تتكلم اليوم وتجمَّل لهذا الرسول. فسكت ساعة فعطس الرسول فأراد أزهر أن يشمته فيقول: يرحمك الله. فقال: صبحك الله. فقال الأمير: أليس قد قدمت إليك أن لا تتكلم؟! فقال: أردت أن لا يرجع الرسول إلى بغداد فيقول إن هؤلاء لا يعرفون العربية.

وقال له الطبيب: خذ رمانتين فاعصرهما بشحمهما واشرب ماءهما، فعمد إلى رمانتين وقطعة شحم ودقهما في موضع واحد وعصرهما وأخذ ماءهما فشربه.

ومنهم «أبو مُحَمَّد جامع الصيدلاني» قال علي بن معاذ: كتبت إلى جامع الصيدلاني كتابًا فكتب جوابه وجعل عنوانه: «إلى الذي كتب إليَّ». وجاء إليه قوم في أمر حائط فقالوا: يا أبا مُحَمَّد منذ كم تعرف هذا الحائط؟ فقال: أعرفه منذ كان وهو صغير لفلان.

وقيل له يومًا: كم سنة تعد؟ فقال: إحدى وسبعين سنة، قيل له: فمن تذكر من ولد العباس؟ قال: إيتاخ.

وركب زورقًا فأعطى الملاح قطعة فاستزاده فقال: مسخني الله ذا أربع قوائم مثلك إن زدتك شيئًا.

ومضى إلى السوق ليشتري لابنه نعلًا فقيل له كم سِنُّه؟ فقال: ما أدري ولكنه وُلِدَ أول ما جاء العنب الداراني. ومُحَمَّد ابني أستودعه الله أكبر منه بشهرين ونصف سنة.

وكانت له بنت فقيل له: كم سنها؟ فقال: ما أدري إلا أنها ولدت أيام البراغيث.

وانبثق كنيف لجامع الصيدلاني فقال لغلامه: بادر وأحضر من يصلحه حتى نتغذى به قبل أن يتعشى بنا.

وحج ابنه في بعض السنين فقال له: يا بني أنت تعلم أنني لا أصبر عنك فأجهد نفسك أن لا تضحي إلا عندنا؛ فإنك تعلم أن أمك لا تأكل شيئًا في العيد حتى تجيء من الصلاة.

ومنهم «أبو عبد الله بن الجصاص» حكي عنه أنه كان يومًا يأكل مع الوزير، فلما فرغ من الأكل قال: الحمد لله الذي لا يُحلف بأعظم منه. ونظر يومًا في المصحف وجعل يقول: رخيص واللهِ! وهذا من فضل ربي آكل وأتمتع بدرهم. وإذا في المصحف: (ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا) فصحف ذرهم فظن أنه درهم.

ودخل ابن الجصاص يومًا على ابن الفرات الوزير الخاقاني وفي يده بطيخة كافور، فأراد أن يعطيها الوزير ويبصق في دجلة فبصق في وجه الوزير ورمى البطيخة في دجلة، فارتاع الوزير وانزعج ابن الجصاص وتحير وقال: واللهِ العظيم لقد أخطأت وغلطت أردت أن أبصق في وجهك وأرمي البطيخة في دجلة. فقال له الوزير: كذلك فعلت يا جاهل. فغلط في الفعل وأخطأ في الاعتذار.

ونظر يومًا في المرآة فقال: اللهم بيِّض وجوهنا يوم تبيض وجوه وسوِّدها يوم تسود وجوه.

وقال يومًا: أشتهي بغلة مثل بغلة النبي ﷺ حتى أسميها دلدل.

وقال يومًا: خريت على يدي فلو غسلتها ألف مرة لم تنظف حتى أغسلها مرتين.

ونظر يومًا في المرآة فقال لإنسان عنده: ترى لحيتي طالت؟ فقال له: المرآة في يدك. فقال: صدقت ولكن الشاهد يرى ما لا يراه الغائب.

وكسر يومًا لوزًا فطارت لوزة فقال: لا إله إلا الله، كل شيء يهرب من الموت حتى البهائم.

وأهدى إلى العباس بن الأحنف الوزير نبقًا(٢) وكتب إليه: «تفيلت(٣) أن تبقى فأهديتك النبقا» فكتب في جوابه: ما تفيلت يا أبا عبد الله ولكن تبقَّرت.(٤)

وكان ابن الجصاص يسبح كل يوم فيقول: نعوذ بالله من نعمه، ونتوب

إليه من إحسانه، ونستقيله من عافيته، ونسأله عوائق الأمور، حسبي الله وأنبياؤه والملائكة الكرام. ومن دعائه اللهم أدخلنا في بركة القصور على قبورهم والبِيَع والثغور والكنائس، سبحان الله قبل الله سبحان الله بعد الله.

وأتاه غلامه يومًا بفرخ فقال: انظروا إلى هذا الفرخ ما أشبهه بأمه! ثم قال: أمه ذكر أم أنثى؟

واعتل مرة فقيل له: كيف تجدك؟ فقال: الدنيا كلها محمومة.

وذكر مُحَمَّد بن أحمد الترمذي قال: كنت عند الزَّجَّاج أعزيه بأمه وعنده الخلق من الرؤساء والكُتَّاب، إذ أقبل ابن الجصاص فدخل ضاحكًا وهو يقول: الحمد لله قد سرني والله يا أبا إسحاق. فدهش الزَّجَّاج ومن حضر وقيل له: يا هذا كيف سرك ما غمه وغمنا؟ فقال: ويحك! بلغني أنه هو الذي مات، فلما صح عندي أنها هي التي ماتت سرني ذلك. فضحك الناس جميعًا.

وكتب ابن الجصاص إلى وكيل له يحمل إليه مائة مَنٍّ قطنًا فحملها، فلما حلجها خرج منها ربع الوزن فكتب إلى الوكيل: لم يحصل من هذا القطن إلا خمسة وعشرون مَنًّا فلا تزرع بعد هذا إلا قطنًا محلوجًا وشيئًا من الصوف أيضًا.

ودخل يومًا بستانًا فثار به المرار فطلب بصلًا بخَلٍّ ليطفئ المرار، ولم يكن عند البستاني فقال له: لِمَ لَمْ تزرع لنا بصلًا بخل.

وكان يومًا خلف الإمام فقال الإمام: (وَلَا الضَّالِّينَ). فقال ابن الجصاص: أي لعمري.

وكان إذا سبح يقول: حسبي الله وحدي.

وقال يومًا: ينبغي للإنسان أن يصير إلى المقابر ليغتاظ. أراد يسير ليتعظ.

وقال يومًا: كان الفأر يؤذينا في سقوفنا فوصف لي إنسان دواء فما سمعت لهم حسوة، أراد حسًّا.

وذكر يومًا ثلاثة أصناف من الثياب، ثم قال: إذا لبست واحدًا من هؤلاء فما أبالي بغيرها.

وقال يومًا: كان الهواء البارحة باردًا إلا أني لم أجده.

وقُدِّمَتْ له هريسة من نعامة فاستطابها فقال: كيف لو أكلتها بقرية؟ أراد سكباجًا. ومرض فقيل له: لعلك تناولت شيئًا ضارًّا؟ فقال: لا والله ما أكلت إلا مزورة بفرخ فروج.

وذكر بين يديه رجل فقال: أخبرتني أمه أنه ولد أبوه وله ثمانون سنة.

وقدمت إليه اسفيداجة فقال لمن حوله: كلوا فهذه أم القرى.

وقال يومًا: قمت البارحة إلى المستراح وقد انطفأ القنديل فما زلت أتلمظ المقعدة حتى وجدتها.

ودخل يومًا على مريض فجلس عنده فشكا إليه الكتف فقال: والله ما أغفل من وجع كتفيَّ هذين. وضرب بيديه على ركبتيه.

وقد نقل عن ابن الجصاص ما يدل على أنه كان يقصد التطابع لا أنه كان بهذه المثابة. عن علي بن أبي علي التنوخي عن أبيه قال: اجتمعت

ببغداد سنة ستٍّ وخمسين وثلاثمائة مع أبي علي بن أبي عبد الله بن الجصاص، فرأيته شيخًا حسنًا طيب المحاضرة فسألته عن الحكايات التي تُنسَب إلى أبيه مثل قوله خلف الإمام حين قرأنا وَلَا الضَّالِّينَ. فقال: أي لعمري. بدلًا عن آمين، ومثل قوله أراد أن يقبل رأس الوزير فقيل له: أفيه ذهب؟ فقال: لو كان في رأس الوزير خرَا لقبَّلته. ومثل قوله وقد وصف مصحفًا بالعتق فقال: كسروي!

فقال: أما أي لعمري ونحو هذا فكذب، وما كان فيه سلامة تخرجه إلى هذا وما كان إلا من أدهى الناس، ولكنه يطلق بحضرة الوزراء قريبًا مما يُحكَى عنه لسلامة طبع كان فيه، ولأنه كان يحب أن يصور نفسه عندهم بصورة الأبله ليأمنه الوزراء لكثرة خلواته بالخلفاء فيسلم عليهم. وأنا أحدِّثُك عنه حديثًا حدَّثَنا به تعلم معه أنه كان في غاية الحزم، فإنه حدثني فقال: إن أبا الحسن بن الفرات لما ولي الوزارة قصدني قصدًا قبيحًا، فأنفذ العمال إلى ضياعي وأمر بقبض معاملاتي، وبسط لسانه بثلبي وتنَقُّصَني في مجلسه، فدخلت يومًا داره فسمعت حاجبه يقول وقد وليت: أي بيت مال يمشي على وجه الأرض ليس له من يأخذه؟ فقلت: إن هذا من كلام صاحبه وإني مسلوب. وكان عندي في ذلك الوقت سبعة آلاف ألف دينار عينًا وجواهر سوى ما يحتوي عليه ملكي. فسهرت ليلتي أفكر في أمري معه، فوقع لي الرأي في الثلث الأخير فركبت إلى داره في الحال، فوجدت الأبواب مغلقة فطرقتها فقال البوابون: من هذا؟ قلت: ابن الجصاص. فقالوا: ليس هذا وقت وصول والوزير نائم. فقلت: عرِّفوا الحجاب إني حضرت في مهم. فعرفوهم فخرج أحدهم فقال: إنه إلى ساعة ينتبه

فيجلس. فقلت: الأمر أهم من ذلك فنبِّهه وعرِّفه عني.

فدخل وأبطأ ساعة، ثم خرج وأدخلني إلى دار حتى انتهيت إلى مرقده، وهو جالس على سرير له وحواليه نحو خمسين فراشًا وغلمان كأنهم حفَظة، وهو مرتاع قد ظن أنه حادثة حدثت وأني جئته برسالة الخليفة وهو متوقع لما أورده، فقام فرفعني وقال: ما الذي جاء بك في هذا الوقت؟ حدثت حادثة أو معك من الخليفة رسالة؟ قلت: خير، ما حدثت حادثة ولا معي رسالة ولا جئت إلا في أمر يخصني ويخص الوزير ولم تصلح المفاوضة فيه إلا على خلوة. فسكن وقال لمن حوله: انصرفوا. فمضوا وقال: هاتِ. قلت: أيها الوزير إنك قد قصدتني أقبح قصد وشرعت في هلاكي وإزالة نعمتي، وفي إزالتها خروج نفسي وليس عن النفس عوض ولعمري إني أسأت في خدمتك، وقد كان في هذا التقويم بلاغ وجد عندي وقد اجتهدت في إصلاحك بكل ما قدرت عليه، وأبيتَ إلا الإقامة على إيذائي وليس شيء أضعف في الدنيا من السنور، وإذا عوينت في دكان البقال وظفر صاحبها بها ولزَّها إلى زاوية ليخنقها وثَبَت عليه فخدشت وجهه وبدنه ومزقت ثيابه وطلبت الحياة بكل ما يمكنها، وقد وجدت نفسي معك في هذه الصورة ولست أضعف من السنور بطشًا، وقد جعلت هذا الكلام عذرًا بيِّنًا، فإن نزلت تحت حكمي في الصلح وإلا فعليَّ وعليَّ وحلفت أيمانًا مغلظة لأقصدن الخليفة الساعة، ولأحولنَّ إليه من خزائني ألفي ألف دينار عينًا وورقًا ولا أصبح إلا وهي عنده وأنت تعلم قدرتي عليها، وأقول: خذ هذا المال وسلم ابن الفرات إلى فلان واستوزره. وأذكر له أقرب من يقع في نفسي أنه يجيب إلى تقليده ممن له وجه مقبول ولسان عذب وخط حسن،

ولا أعتمد إلا على بعض كتابك فإنه لا يفرق بينك وبينهم إذا رأى المال حاضرًا، فيسلمك في الحال ويراني المتقلد بعين من أخذه وهو صغير فجعله وزيرًا وغرم عليه هذا المال الكثير، فيخدمني ويتدبر برأيي، وأسلمك إليه فيُفرغ عليك العذاب حتى يأخذ ألفي ألف الدينار منك بأسرها، وأنت تعلم أن حالك تفي بهذا ولكنك تفتقر بعدها ويرجع المال إليَّ ولا يذهب مني شيء، وأكون قد أهلكت عدوِّي وشفيت غيظي واسترجعت مالي وصفَت نعمتي وزاد محلي بصرفي وزيرًا وتقليدي وزيرًا.

فلما سمع هذا الكلام سقط في يده وقال: يا عدو الله أوَتستحل هذا؟ قلت: لست عدو الله بل عدو الله من استحل مني هذا الذي أخرجني إلى الفكر في مثل هذا، ولِمَ لا أستحل مكروه من أراد هلاكي وزوال نعمتي؟ فقال: أو إيش؟ فقلت: أو تحلف الساعة بما أستحلفك به من الأيمان المغلَّظة أنك تكون لي لا عليَّ في صغير أمري وكبيره، ولا تنقص لي رسمًا ولا تغير لي معاملة ولا تدسس عليَّ المكاره، ولا تشر لي في سوء أبدًا ظاهرًا ولا باطنًا. فقال: وتحلف أنت أيضًا لي بمثل هذا اليمين على جميل النية وحسن الطاعة والمؤازرة؟ فقلت: أفعل. فقال: لعنك الله فما أنت إلا إبليس، والله لقد سحرتني. واستدعى دواة وعملنا نسخة يمين فأحلفته أولًا بها، ثم حلفت له، فلما أردت القيام قال: يا أبا عبد الله لقد عظمتَ في نفسي وخففتَ ثقلًا عني، والله ما كان المقتدر يفرق بين كفاءتي وبين أخس كُتَّابي مع المال الحاضر فليكن ما جرى مطويًّا. فقلت: سبحان الله! فقال: إذا كان غدًا فصر إلى المجلس لتَرَ ما أعاملك به. فنهضت فقال: يا غلمان بأسركم بين يدي أبي عبد الله، فخرج بين يدي نحو مائتي غلام وعدت إلى

داري، ولما طلع الفجر واسترحت جئته في المجلس فعرفني الذين كانوا بحضرته وعرفهم ما جرى من التفريط التام وعاملني بما شاهده الحاضرون، وأمر بإنشاء الكتب إلى عمال النواحي بإعزازي وإعزاز وكلائي وعمالي وصيانة أسبابي وضياعي، فشكرت الله وقمت فقال: يا غلمان بين يديه. فخرج الحجاب يجرِّدون سيوفهم بين يديَّ والناس يعجبون ولم يعلم أحد سبب ذلك. فما حدَّثت بذلك إلا بعد القبض عليه.

قال لي أبو علي: هل هذا فعل من يُحكى عنه تلك الحكايات؟ قلت: لا.

وقد حكى التنوخي أن ابن الجصاص صودر في أيام المقتدر، فارتفعت مصادرته سوى ما بقي له من الظاهر وكانت ستة آلاف ألف دينار.

قال التنوخي: وحدثني أبو مُحَمَّد عبد الله بن أحمد بن مكرم قال: حدثني بعض شيوخنا قال: كنا بحضرة أبي عمرو القاضي فجرى ذكر ابن الجصاص وغفلته، فقال أبو عمرو: معاذ الله! ما هو كما يقال عنه، ولقد كنت عنده منذ أيام وفي صحن داره سرادق مضروب، فجلسنا بالقرب منه نتحدث فإذا بصرير نعل من خلف السرادق، فقال: يا غلام جئني بصاحب هذا النعل. فأُخرِجت إليه جارية سوداء فقال: ما كنت تصنعين ها هنا؟ قالت: جئت إلى الخادم أعرفه أني قد فرغت من الطبيخ وأستأذن في تقديمه. فقال: انصرفي لشأنك. فعلمت أنه أراد يعرفني بذلك الوطء أنه وطئ جارية سوداء مبتذلة وأنها ليست من حرمه، فهل يكون هذا من التغفيل؟ عن أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي عن أبيه قال: حدثني أبو

القاسم الجهني قال: كنت بحضرة أبي الحسن بن الفرات وابن الجصاص حاضر، فذكروا ما يعتقده(٥) الناس لأولادهم فقال ابن الفرات: ما أجل ما يعتقده الناس لأعقابهم؟ فقال بعض من حضر: الضياع. وقال بعضهم: العقار. وقال بعضهم: المال الصامت. وقال بعضهم: الجوهر الخفيف الثمين؛ فإن بني أمية سئلوا أي الأموال كانت أنفع لكم في نكبتكم؟ فقالوا: الجوهر الخفيف المثمن كنا نبيعه فلا نطالَب بمعرفته والواحدة منه أخف من ثمنها. وابن الجصاص ساكت، فقال له ابن الفرات: ما تقول أنت يا أبا عبد الله؟ فقال: أجل ما يعتقده الناس لأولادهم الضياع والإخوان، فإنهم إن اعتقدوا لهم ضياعًا أو عقارًا أو صامتًا من غير إخوان ضاع ذلك وتمحَّق، وأحدث الوزير بحديث جرى منذ مديدة يعلم معه صدق قولي. فقال له ابن الفرات: ما هو؟ فقال: الناس يعرفون أن أبا الحسن كان رجلًا مشتهرًا بالجوهر يعتقده لنفسه وأولاده وجواريه، فكنت جالسًا يومًا في داري فجاءني بوابي فقال: بالباب امرأة تستأذن. فأذنت لها فدخلت فقالت لي: تخلي لي مجلسك. فأخليته.

فقالت لي: أنا فلانة جارية أبي الحسن فعرفتُها وبكيت لما شاهدتها عليه ودعوت غلماني ليحضروا لي شيئًا أغيِّر به حالها فقالت: لا تدعُ أحدًا فإني أظنك دعوتهم لتغير حالي وأنا في غنية وكفاية ولم أقصدك لذلك، ولكن لحاجة هي أهم من هذا. فقلت: ما هي؟ فقالت: تعلم أن أبا الحسن لم يكن يعتقد لنا إلا الجوهر فلما جرى علينا بعده من تطلب السلطان ما جرى وتشتتنا وزال عنَّا ما كنَّا فيه، كان عندي جوهر قد سلمه إليَّ ووهبه لي ولابنته مني فلانة وهي معي ها هنا فخشيت أن أظهره بمصر فيؤخَذ

مني، فتجهزت للخروج وخرجت مستخفية وابنتي معي فسلم الله تعالى ووصلنا هذا البلد وجميع مالنا سالم، فأخرجت من الجواهر شيئًا قيمته خمسة آلاف دينار وسرت به إلى السوق فبلغ ألفي دينار، فقلت: هاتوا فلما أحضروا المال قالوا: أين صاحب المتاع؟ قلت: أنا هي. قالوا: ليس محلك أن يكون هذا لك وأنت لصة. فعلقوا بي ليحملوني إلى صاحب الشرطة، فخشيت أن أقع فأُعرَف فيؤخذ الجوهر وأطالب أنا بمال، فرشوت القوم دنانير كانت معي وتركت الجوهر عليهم وأقبلت، فما نمت ليلتي غمًّا مما جرى عليَّ من خشية الفقر؛ لأن مالي هذا سبيله فأنا غنية فقيرة فلم أدرِ ما أفعل، فذكرت ما بيننا وبينك فجئت، والذي أريد منك جاهك وبذله لي حتى تخلص لي حقي وما أُخِذَ مني وتبيع الباقي وتخلص لي ثمنه، وتشتري لي ولابنتي به عقارًا نقتات من غلته. قال: فقلت: من أخذ منك الجوهر؟ قالت: فلان. فأنفذت إليه فأحضرته فاستخليت به وقلت: هذه امرأة من داري وإنما أنفذت المتاع لأعرف قيمته ولئلَّا يراني الناس أبيع شيئًا بدون قيمته فلِمَ تعرضتم لها؟ فقالوا: ما علمنا ذلك ورسمنا كما تعلم لا نبيع شيئًا إلا بمعرفة، ولما طالبناها بذلك اضطربت فخشينا أن تكون لصة. فقلت له: أريد الجوهر الساعة فجاء به، فلما رأيته عرفته وكنت أنا اشتريته لأبي الحسن بخمسة آلاف دينار، فأخذته منه وصرفته وأقامت المرأة في داري وتلطفت لها في بيع الجوهر بأوفى ثمن، فخصها منه أكثر من خمسة آلاف دينار فابتعت لها بذلك ضياعًا ومسكنًا، فهي تعيش في ذلك وولدها إلى الآن.

فنظرت فإذا الجوهر لمَّا كان معها بلا صديق حجر، بل كان سببًا لمكروه، ولما وجدت صديقًا يعينها حصل لها منه هذا المال الحليل،

فالصديق أفضل من العقد. فقال ابن الفرات: أجدت يا أبا عبد الله.

ينسبون هذا الرجل إلى التغفيل وقد سمعتم ما قال، فكيف يكون هذا مغفلًا؟!

فصل: فأما النساء المنسوبات إلى التغفيل، فمنهن التي نقضت غزلها، قال مقاتل بن سليمان: هي امرأة من قريش تسمى «ريطة» بنت عمرو بن كعب، كانت إذا غزلت نقضته، قال ابن السائب: اسمها رايطة. وقال أبو بكر بن الأنباري: اسمها ريطة بنت عمرو المُرِّيَّة ولقبها الجعرا وهي من أهل مكة، وكانت معروفة عند المخاطبين فعرفوها بصنعتها ولم يكن لها نظير في فعلها، كانت متناهية الحمق تغزل الغزل من القطن أو الصوف فتُحكِمه، ثم تأمر خادمها بنقضه، قال بعضهم: كانت تغزل هي وجواريها، ثم تأمرهن أن ينقضن ما غزلن.

ومنهن «دغة» بنت مغنج، ومغنج هو ربيعة بن عجل، واسم دغة ماوية ودغة لقب، وكانت قد تزوجت صغيرة في بني العنبر فحبلت، فلما جاءها المخاض ظنت أنها تريد الخلاء، فبرزت فولدت فاستهل الولد فانصرفت إلى الرحل تعد أنها أحدثت فقالت لضرتها: يا هنَّتاه! هل يفتح الجعر فاه؟ قالت: نعم ويدعو أباه. فمضت ضرتها فأخذت الولد فبنو العنبر تنسب إليها، فسموا بنو الجعر لذلك.

ورأت يافوخ ولدها يضطرب فشقته بسكين وأخرجت دماغه وقالت: أخرجت هذه المادة من دماغه ليسكن وجعه، وذكر عنها أنها كانت حسنة الثغر، فولدت غلامًا وكان أبوه يقبله ويقول وا بأبي دردرك! فظنت أن الدردر أعجب إليه فحطمت أسنانها، فلما قال: وا بأبي دردرك. قالت: يا شيخ كلنا

ذو دردر. فقال: أعييتني بأشر فكيف بدردر؟ والأشر التحزيز في أطراف أسنان الأحداث، والدردو مغارز الأسنان. فضرب المثل بحمق دغة.

ومنهن ريطة بنت عامر بن نمير، كانت تعلِّم رأس أولادها بالقزع لتعرف أولادها من أولاد غيرها.

ومنهن الممهورة إحدى خدمتيها[٦] أنبأنا مُحَمَّد بن عبد الملك قال: حدثنا ابن خلف قال: يقال هو «أحمق من الممهورة إحدى خدمتيها» وهي امرأة من فزارة.

ومنهن حذنة وقد مضى الخلاف في هذا الاسم وذكرنا في أحد الأقوال أنه اسم امرأة كانت تمتخط بكوعها.

---

(١) مزبد هو أبو إسحاق المدني، وقد غضب عليه يومًا بعض الولاة فأمر الحجام بحلق لحيته فقال له الحجام: انفخ شدقيك حتى أتمكن من الحلاقة. فقال: الوالي أمرك بحلق لحيتي أو تعلمني الزمر؟ ا.هـ. (من فوات الوفَيَات لابن شاكر الكتبي.)

(٢) النبق ثمر السدر ودقيق يخرج من لب جذع النخلة حلو وهو المشهور عند العامة بالجُمَّار.

(٣) يريد «تفاءلت».

(٤) أي لم تصبح فيلًا ولكنك أصبحت بقرة.

(٥) أي ما يقتنيه الناس لأولادهم من الضياع والأموال.

(٦) الخدمة هنا فردة الخلخال.

الباب التاسع

في ذكر أخبار جماعة من العقلاء صدرت عنهم أفعال الحمقى وأصروا عليها مستصوبين لها فصاروا بذلك الإصرار حمقى ومغفلين

فأول القوم «إبليس» فإنه كان متعبِّدًا مؤذنًا للملائكة، فظهر منه من الحمق والغفلة ما يزيد على كل فعل مغفَّل؛ فإنه لما رأى آدم مخلوقًا من طين أضمر في نفسه: لئن فضلت عليه لأهلكنه ولئن فضل عليَّ لأعصينه. ولو تدبر الأمر لعلم أنه إن كان الاختيار قد سبق لآدم لم يطق مغالبته بحيلة، ولكنه جهل القدر ونسي المقدار، ثم لو وقف على هذه الحالة لكان الأمر يحمل على الحسد، ولكنه خرج عن الاعتراض على المالك بالتخطِئة للحكمة فقال: (أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ) والمعنى: لِمَ كرمته؟ ثم زعم أنه أفضل من آدم بقوله (خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) ومجموع المندرج في كلامه: أني أحكم من الحكيم وأعلم من العليم، وأن الذي فعله من تقديم آدم ليس بصواب. هذا وهو يعلم أن علمه مستفاد من العالم الأكبر فكأنه يقول: يا من علمني أنا أعلم منك، ويا من قدَّر تفضيل هذا عليَّ ما فعلت صوابًا. فلما أعيته الحيل رضي بإهلاك نفسه فأوثق عقد إصراره، ثم أخذ يجتهد في إهلاك غيره ويقول: (لَأُغْوِيَنَّهُمْ).

وجهله في قوله: (لَأُغْوِيَنَّهُمْ) من وجهين: أحدهما أنه أخرج ذلك مخرج القاصد لتأثر المعاقب له وجهل أن الحق سبحانه لا يتأثر ولا يؤذيه شيء

ولا ينفعه لأنه الغني بنفسه. والثاني: نسي أنه من أريد حفظه لم يُقدر على إغوائه، ثم انتبه لذلك فقال: (إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ)؛ فإذا كان فعله لا يؤثر وإضلاله لا يكون لمن قدرت له الهداية، فقد ذهب علمه باطلًا، ثم رضي لخساسة همته بمدة يسيرة يعلم سرعة انقضائها فقال: (أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)، وصارت لذته في إيقاع العاصي بالذنب كأنه يغيظ بذلك، ولجهله بالحق أنه يتأثر، ثم نسي قرب عقابه الدائم فلا غفلة كغفلته ولا جهالة كجهالته، وما أعجب قول القائل في إبليس:

عَجِبْتُ مِنْ إِبْلِيسَ فِي نَخْوَتِهْ ... وَخُبْثِ مَا أَظْهَرَ مِنْ نِيَّتِهْ

تَاهَ عَلَى آدَمَ فِي سَجْدَةٍ ... وَصَارَ قَوَّادًا لِذُرِّيَّتِهْ

وما رأيت من غير إبليس وزاد عليه في الجنون والتغفيل مثل «أبي الحسين بن الراوندي»؛ فإن له كتبًا يزري فيها على الأنبياء عليهم السلام ويشتمهم، ثم عمل كتابًا يرد فيه على القرآن ويبين أن فيه لحنًا، وقد علم أن هذا الكتاب العزيز قد عاداه خلق كثير ما فيهم من تعرَّض لذلك منه ولا قدر، فاستدرك هو بزعمه على الفصحاء كلهم، ثم عمِل كتاب الدامغ، فأنا أستعظم أن أذكر بعض ما ذكر فيه من التعريض للرد على الخالق سبحانه وذكره إياه بأقبح ما يُذكَر به آدمي، مثل أن يقول: منه الظلم ومنه الشر في عبارات أقبح من هذه قد ذكرت بعضها في التاريخ، فالعجب ممن يعترض على الخالق بعد إثباته، فأما الجاحد فقد استراح أتراه خلق لهؤلاء عقولًا كاملة وفي صفاته هو نقص، تعالى الله عن تغفيل هؤلاء.

فصل: ثم اتبع إبليس في الغفلة والحمق «قابيل» فإن من أعظم

التغفيل قوله لمن قُبِلَ قربانه: (لَأَقْتُلَنَّكَ) وهذا من أسمج الأشياء؛ لأنه لو فهم لنظر سبب قبول قربان أخيه ورد قربانه، ثم من التغفيل أنه حمله على ظهره ولم يهتدِ لدفنه.

ومثل هذا التغفيل (حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ) ومثله (أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ)، ومن جنسه (أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ).

ومثله (أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي)، فافتخر بساقية لا هو أجراها ولا يدري منتهاها ولا مبتداها ونسي أمثالها مما ليس تحت حكمه، وليس في الحمق أعظم من ادِّعاء فرعون أنه الإله، وقد ضرب الحكماء له مثلًا فقالوا: أُدخِل إبليس على فرعون فقال: من أنت؟ قال: إبليس. قال: ما جاء بك؟ قال: جئت أنظر إليك فأعجب من جنونك. قال: وكيف؟ قال: أنا عاديت مخلوقًا مثلي وامتنعت عن السجود له فطُرِدتُ ولُعِنْتُ وأنت تدعي أنك أنت الإله! هذا واللهِ الجنونُ البارد.

ومن أعجب التغفيل اتِّخاذ الأصنام آلهة، فالإله ينبغي أن يَفعل لا أن يُفعل.

ومن التغفيل بنيان نمرود الصرح، ثم رميه بنشابة ليقتل بزعمه إله السماء، أتراه لو كان خصمه في مكان فرأى قوسًا موتورة إلى جهته، أما كان يمكنه أن ينزوي عنها؟

ومن أعظم التغفيل ما جرى لإخوة يوسف في قولهم: (أَكَلَهُ الذِّئْبُ) ولم يشقوا قميصه، وقصتهم مع يوسف في قوله: إن الصاع يخبرني بكذا وكذا.

ومن التغفيل ادِّعاء هاروت وماروت الاستعصام عن الوقوع في الذنب ومقاومة الأقدار، فلما نزلا من السماء على تلك النية نزلا.

ومن عجيب التغفيل قول بني إسرائيل لموسى وقد جاوز بهم البحر: اجعل لنا إلهًا.

وقول النصارى: إن عيسى إله أو ابن إله، ثم يقرون أن اليهود صلبوه، فادِّعاؤهم الإلهية في بشر لم يكُن فكان ولا يبقى إلا بأكل الطعام! والإله من قامت به الأشياء لا من قام بها، فظنهم أنه ابن الإله، والبُنُوَّة تقتضي البعضية والمثلية وكلاهما مستحيل على الإله، وقولهم إنه قُتِلَ وصلب فيقرون عليه بالعجز عن الدفع عن نفسه، وكل هذه الأشياء تغفيل قبيح.

ومن أعجب التغفيل اعتقاد المشبِّهة الذين يزعمون أن المعبود ذو أبعاض وجوارح وأنه يشبه خلقه، مع علمهم أن المؤلَّف لا بد له من مؤلِّف.

ومن أعجب التغفيل أن الرافضة يعلمون إقرار علي بيعة أبي بكر وعمر واستيلاده الحنفية من سبي أبي بكر وتزويجه أم كلثوم ابنته من عمر، وكل ذلك دليل على رضاه ببيعتهما، ثم فيهم من يكفرهما وفيهم من يسبهما، يطلبون بذلك على زعمهم حب علي وموافقته، وقد تركوها وراء ظهورهم.

ومثل هذا الجنس كثير إذا تتبعته رأيته، وإنما أشرنا بهذه النبذة إليه ليفكر في جنسه ولم نَرَ بسط القصص فيه؛ لأن المقصود الأكبر في هذا الكتاب غير ذلك.

عن أحمد بن حنبل أنه قال: لو جاءني رجل فقال: إني قد حلفت بالطلاق أن لا أكلم يومي هذا أحمق، فكلَّم رافضيًّا أو نصرانيًّا لقلت: ما

حنث. قال: فقال له الدينوري: أعزك الله تعالى لِمَ صارا أحمقين؟ قال: لأنهما خالفا الصادقين عندهما، أما الصادق الأول فإنه المسيح عليه السلام قال للنصارى: (اعْبُدُوا اللهَ) وقال: (إِنِّي عَبْدُ اللهِ) فقالوا: لا ليس هو بعبد بل هو إله. وأما علي رضي الله عنه، فقد روى عن النبي ﷺ أنه قال لأبي بكر وعمر: «هذان سيدا كهول أهل الجنة» ثم سبهما هذا وتبرأ منهما هذا.

هذا ومن أعجب تغفيل القدماء ما روي عن جابر بن عبد الله أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تعبد رجل في صومعة فأمطرت السماء فأعشبت الأرض فرأى حمارًا يرعى فقال يا رب لو كان لك حمار رعيتُه مع حماري. فبلغ ذلك نبيًّا من أنبياء بني إسرائيل، فأراد أن يدعو عليه فأوحى الله تعالى إليه: إنما أجزي العباد على قدر عقولهم.

فصل: وقد جرى من خلق كثير من العقلاء ما يشبه التغفيل، إلا أنهم لم يقصدوا ذلك فذكرت منهم طرفًا لشبهه بالتغفيل، فمن ذلك ما حُكِيَ عن بعض المغنين قال: حضرت عند أمير لأغنيه فجرى حديث بعض الوزراء فذكرت من محاسنه وكرمه شيئًا لأحركه به ليفعل مثله، ثم غنَّيته:

قَوَاصِدُ كَافُورٍ تَوَارِكُ غَيْرِهِ   وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاقِيَا

فقال لي: قبَّحك الله ما هذه المعاشرة؟ فاستيقظت وحلفت أني ما قصدته.

ومثل هذا ما جرى لعبد الله بن حسن، فإنه كان يساير السفاح وينظر إلى مدينته التي بناها ظاهر مدينة الأنبار فأنشده:

أَلَمْ تَــرَ مَالِكًــا أَضْــحَى يَبْــنِي بُيُــوتًا نَفْعُهَــا لِبَــنِي بُقَيْلَــهْ

يُرَجِّــي أَنْ يُعَمَّــرَ عُمْــرَ نُــوحٍ وَأَمْــرُ اللهِ يَأْتِي كُــلَّ لَيْلَــهْ

فغضب فاعتذر إليه.

وبينا عيسى بن موسى يساير أبا مسلم يوم إدخاله على المنصور تمثل عيسى فقال:

سَيَأْتِيكَ مَا أَفْنَى الْقُرُونَ الَّتِي مَضَتْ وَمَا حَلَّ فِي أَكْبَادِ عَادٍ وَجُرْهُمِ

فقال أبو مسلم: هذا مع الأمان الذي أُعطِيتُ؟ فقال عيسى: أعتقتُ ما أملك إن كان هذا شيئًا أضمرتُه. ولما حوصر الأمين قال لجاريته: غنِّي فغنت:

كُلَيْبُ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا وَأَيْسَرَ جِرْمًا مِنْكَ ضُرِّجَ بِالدَّمِ

فاشتد ذلك عليه، ثم قال: غني غير هذا. فغنت:

شَــكَتْ فِــرَاقَهُمُ عَيْــنِي فَأَرَّقَهَــا إِنَّ التَّفَــرُّقَ لِلْأَحْبَــابِ بُكَــاءُ

فقال: لعنك الله أما تعرفين غير هذا؟ فغنت:

مَــا اخْتَلَــفَ اللَّيْــلُ وَالنَّهَــارُ وَمَــا دَارَتْ نُجُــومُ السَّــمَاءِ فِي الْفَلَــكِ

إِلَّا لِنَقْــلِ السُّــلْطَانِ مِــنْ مَلِــكٍ قَــدْ غَــابَ تَحْــتَ الثَّــرَى إِلَى مَلِــكِ

فقال: قومي. فقامت فعثرت بقدح بلور فكسرته، فإذا قائل يقول: قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ، ولما دخل المأمون على زبيدة ليعزيها في الأمين قالت: أرأيت أن تسليني في غدائك اليوم عندي؟ فتغدى وأخرجت

إليه من جواري الأمين من تغنيه فغنت:

هُــمْ قَتَلُــوهُ كَــيْ يَكُونُــوا مَكَانَــهُ   كَمَـا فَعَلَــتْ يَوْمًـا بِكِسْــرَى مَرَازِبُــهُ

فوثب مغضبًا فقالت له: يا أمير المؤمنين حرمني الله أجره إن كنت علمت أو دسست إليها. فصدقها، ولما فرغ المعتصم من بناء قصره دخل الناس عليه فاستأذنه إسحاق بن إبراهيم أن ينشده فأنشده شعرًا في صفته وصفة المجلس أوله:

يَا دَارُ غَيَّــــرَكِ الْبِلَـــــى وَمَحَــــاكِ   يَا لَيْــتَ شِــعْرِي مَــا الَّــذِي أَبْــلَاكِ

فتطير المعتصم وعجب الناس من إسحاق كيف فعل هذا مع فَهمه، فقاموا وخرب القصر وما اجتمع فيه بعد ذلك اثنان.

وأنشد الصاحب بن عباد عضد الدولة مديحًا له من قصيدة يقول فيها:

ضَــمَمْتَ عَلَــى أَبْنَــاءِ تَغْلِــبَ تَاءَهَــا   فَتَغْلِــبُ مَــا كَــرَّ الْجَدِيــدَانِ تُغْلَــبُ

فتطير عضد الدولة من قوله تُغلب، وقال: نعوذ بالله. فتيقظ الصاحب لقوله وتغير لونه.

وقال إسحاق المهلبي: دخلت على الواثق فقال: غني صوتًا عربيًّا، فقلت:

يَا دَارُ إِنْ كَــــانَ الْبِلَـــــى مَحَــــاكِ   فَإِنَّــــــــهُ يُعْجِبُــــــــنِي أَرَاكِ[1]

قال: فتبينت الكراهية في وجهه وندمت.

ودخل أبو النجم العجلي على هشام بن عبد الملك فأنشده أبياتًا حتى بلغ فيها ذكر الشمس فقال:

وَهِيَ عَلَى الْأُفْقِ كَعَيْنِ الْأَحْوَلِ

فأمر أن يوجأ في عنقه وأُخرِج.

ودخل أرطأة على عبد الملك بن مروان وكان شيخًا كبيرًا فاستنشده ما قاله في طول عمره فأنشده:

رَأَيْـــتُ الْمَـــرْءَ تَأْكُلُـــهُ اللَّيَـــالِي ... كَأَكْـــلِ الْأَرْضِ سَـــاقِطَةَ الْحَدِيـــدِ

وَمَـــا تَبْغِـــي الْمَنِيَّـــةُ حِـــينَ تَأْتِي ... عَلَـى نَفْـسِ ابْـنِ آدَمَ مِـنْ مَزِيـدِ

فَـــأَعْلَمُ أَنَّهَـــا سَـــتَكِرُّ حَـــتَّى ... تُـــوَفِّي نَـــذْرَهَا بِأَبِي الْوَلِيـــدِ

فارتاع عبد الملك وظن أنه عناه، وعلم أرطأة أنه زل فقال: يا أمير المؤمنين إني أكنَّى بأبي الوليد وصدقه الحاضرون.

ودخل ذو الرمة على عبد الملك فأنشده:

مَـا بَالُ عَيْنَيْـكَ مِنْهَـا الـدَّمْعُ يَنْسَـكِبُ ... كَأَنَّـهُ مِـنْ كُلًـى مُفْرِيَّـةٍ سَـرِبُ

واتفق أن عيني عبد الملك كانتا تسيلان فظن أنه عرَّض به فغضب وقطع إنشاده وأخرجه.

ودخل شاعر على طاهر بن عبد الله فأنشده:

شَـــبَّ بِالْإِبِـــلِ مِـــنْ عَزِيـــزَةَ نَارُ ... أَوْقَـــدَتْهَا وَأَيْـــنَ مِنْـــكَ الْمَـــزَارُ

وكان اسم والدة طاهر عزيزة فتغامز الحاضرون وأعلموه بهفوته فأمسك.

ودخل رجل على عقبة بن مسلم الأزدي فأنشده:

يَا ابْنَـــةَ الْأَزْدِيِّ قَلْـــبِي كَئِيـــبُ مُسَـــتَهَامٌ عِنْـــدَكُمْ مَـــا يَئُـــوبُ

وَلَقَـــدْ لَامُـــوا فَقُلْـــتُ دَعُـــونِي إِنَّ مَـــنْ تَلْحُـــونَ فِيـــهِ حَبِيـــبُ

فتغير وجه عقبة فنظر الشاعر فقطع.

ودخل الرئيس أبو علي العلوي يومًا على بعض الرؤساء، فتحادثا فجاء غلام لذلك الرجل فقال: يا سيدي أي الخيل نسرج اليوم؟ فقال: أسرجوا العلوي. فقال له أبو علي: أحسن اللفظ يا سيدي. فاستحيا وقال: هفوة.

واجتاز المرتضى أبو القاسم نقيب العلويين يوم جمعة على باب جامع المنصور عند المكان الذي يباع فيه الغنم، فسمع المنادي يقول: نبيع هذا التيس العلوي بدينار. فظن أنه قصده بذلك فعاد متألمًا من المنادي، فكشف عن الحال فوجد أن التيس إن كان في رقبته حلمتان سُمِّيَ علويًّا نسبة لشعرتي العلوي المسبلتين على رقبته.

ونحو هذا ما جرى لأبي الفرج العلوي، فإنه كان أعرج أحول فسمع مناديًا ينادي على تيس: كم عليكم في هذا التيس العلوي الأعرج الأحول؟ فلم يشك أنه عناه، فراغ عليه ضربًا إلى أن تبين أن التيس أحول أعرج فضحك الحاضرون مما اتفق.

وقال أبو الحسن الصابي: دخل بعض أصدقائنا إلى رجل قد ابتاع دارًا في جواره فسلم عليه وأظهر الأنس بقربه، وقال: هذه الدار كانت لصديقنا وأخينا، إلا أنك بحمد الله أوفى منة وكرمًا وأوسع نفسًا وصدرًا، والحمد لله الذي بدلنا به من هو خير منه وأنشده:

بُدِّلَ بِالْبَازِي غُرَابٌ أَبْقَعُ

فضحك منه الرجل حتى استلقى وخجل وصارت نادرة يولع الرجل بها.

---

(١) روي هذا البيت في غير هذا الكتاب هكذا:

يَا دَارُ غَيَّــــرَكِ الْبِلَــــى فَمَحَــــاكِ ... يَا لَيْــتَ شِــعْرِي مَــا الَّــذِي أَبْــلَاكِ

الباب العاشر

في ذكر المغفلين من القراء والمصحِّفين

عن عبد الله بن عمر بن أبان أن مشكدانة قرأ عليه في التفسير: «ويعوق وبشرًا» فقيل له: «ونسرًا» فقال: هي منقوطة بثلاثة من فوق. فقيل له: النقط غلط. قال: فارجع إلى الأصل.

وعن مُحَمَّد بن أبي الفضل قال: قرأ علينا عبد الله بن عمر بن أبان: «ويعوق وبشرًا»، فقال له رجل: إنما هو «ونسرًا»، فقال: هو ذا فوقها نقط مثل رأسك.

وقال أبو العباس بن عمار الكاتب: انصرفت من مجلس مشكدانة فمررت بمحمد بن عباد بن موسى، فقال: من أين أقبلت؟ فقلت: من عند مشكدانة فقال: ذاك الذي يصحف على جبرائيل، يريد قراءته: «ويعوق وبشرًا» وكانت حكيت عنه.

حدثنا إسماعيل بن مُحَمَّد قال: سمعت عثمان بن أبي شيبة يقرأ: «فإن لم يصبها وابل فظل».[١] قال: وقرأ: «من الخوارج[٢] مكلبين».

وعن مُحَمَّد بن جرير الطبري قال: قرأ علينا مُحَمَّد بن جميل الرازي: «وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يجرحوك».[٣]

قال الدارقطني: وحدثني أنه سمع أبا بكر الباغندي أملى عليهم في

حديث ذكره: «وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هويًّا»[٤] بضم الهاء وياء.

قال ابن كامل: وحدثنا أبو شيخ الأصبهاني مُحَّد بن الحسين قال: قرأ علينا عثمان بن أبي شيبة في التفسير: «وإذا بطشتم بطشتم خبازين»، يريد قوله: «جبارين».

وعن مُحَّد بن عبد الله المنادي يقول: كنا في دهليز عثمان بن أبي شيبة فخرج إلينا وقال: (ن وَالْقَلَمِ) في أي سورة هو؟

وعن إبراهيم بن دومة[٥] الأصبهاني أنه يقول: أملى علينا عثمان بن أبي شيبة في التفسير قال: «خذوا سورة المدبر» قالها بالباء.

قال الدارقطني: قرأ علينا عثمان بن أبي شيبة في التفسير «فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية» فِي رَحْلِ أَخِيهِ فقيل له: (السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ)، فقال: أنا وأخي أبو بكر لا نقرأ لعاصم.

وقال القاضي المقدمي: قرأ علينا عثمان بن شيبة: (جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ) فقيل له: في (فِي رَحْلِ أَخِيهِ)، فقال: تحت الجيم واحدة.

وعن مُحَّد بن عبد الله الحضرمي أنه قال: قرأ علينا عثمان بن أبي شيبة: «فضرب بينهم سنور له ناب»، فقيل له إنما هو: «بسور له باب» فقال: أنا لا أقرأ قراءة حمزة، قراءة حمزة عندنا بدعة.

قال: حدثني أبو الحسين أحمد بن يحيى قال مررت بشيخ في حجره مصحف وهو يقرأ: «ولله ميزاب السموات والأرض» فقلت: يا شيخ ما

معنى «ولله ميزاب السموات والأرض» قال: هذا المطر الذي تراه. فقلت: ما يكون التصحيف إلا إذا كان بتفسير، يا هذا إنما هو (وَلِلهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)، فقال: اللهم اغفر لي أنا منذ أربعين سنة أقرؤها وهي في مصحفي هكذا.

قال: حدثني أبو فزارة الأسدي قال: قلت لسعيد بن هشيم: لو حفظت عن أبيك عشرة أحاديث سدت الناس، وقيل: هذا ابن هشيم. فجاءوك فسمعوا منك. قال: شغلني عن ذلك القرآن. فلما كان يوم آخر قال لي: جبير كان نبيًّا أم صديقًا؟ قال: قلت: مَن جبير؟ قال: قوله عز وجل: «واسأل به جبيرًا»،(٦) قال: قلت له: يا غافل زعمت أن القرآن أشغلك!

وعن أبي عبيدة قال: كنا نجلس إلى أبي عمرو بن العلاء فنخوض في فنون من العلم ورجل يجلس إلينا لا يتكلم حتى نقوم، فقلنا: إما أن يكون مجنونًا أو أعلم الناس. فقال يونس: أو خائف، سأظهر لكم أمره. فقال له: كيف علمك بكتاب الله تعالى؟ قال: عالم به. قال: ففي أي سورة هذه الآية:

الْحَمْدُ لِلهِ لَا شَرِيكَ لَهُ ... مَنْ لَمْ يَقُلْهَا فَنَفْسَهُ ظَلَمَا

فأطرق ساعة، ثم قال: في حمّ الدخان.

وعن أبي عبد الله بن عرفة أنه قال: اصطحب ناس فكانوا يتذاكرون الآداب والأخبار وسائر العلوم، وكان معهم شاب لا يخوض فيما يخوضون فيه سوى أنه كان يقول: رحم الله أبي ما كان يعدل بالقرآن وعلمه شيئًا.

فكانوا يرون أنه أعلم الناس بالقرآن، فسأله بعضهم في أي سورة:

وَفِينَـــا رَسُـــولُ اللهِ يَتْلُـــو كِتَابَـــهُ   كَمَـا لَاحَ مُبْـيَضٌّ مِـنَ الصُّـبْحِ سَـاطِعُ

يَبِيــتُ يُجَــافِي جَنْبَــهُ عَــنْ فِرَاشِــهِ   إِذَا اسْــتَثْقَلَتْ بِالْكَــافِرِينَ الْمَضَــاجِعُ

فقال: سبحان الله! من لم يعرف هذا؟ هذا في حمّ عسق. فقالوا: ما قصر أبوك في أدبك. فقال لهم: أفكان يتغافل عني كتغافل آبائكم عنكم؟

ونبأنا في هذا المعنى أن رجلًا قدَّم ابنًا له إلى القاضي فقال: أصلح الله القاضي، إن هذا ابني يشرب الخمر ولا يصلي. فقال له القاضي: ما تقول يا غلام فيما حكاه أبوك عنك؟ قال: يقول غير الصحيح، إني أصلي ولا أشرب الخمر. فقال أبوه: أصلح الله القاضي أتكون صلاة بلا قراءة؟ فقال القاضي: يا غلام تقرأ شيئًا من القرآن؟ قال: نعم وأجيد القراءة. قال: اقرأ. فقال: بسم الله الرحمن الرحيم:

عُلِّــــــــقَ الْقَلْــــــــبُ رَبَابًا   بَعْــــــدَمَا شَــــــابَتْ وَشَــــــابَا

إِنَّ دِيــــــــــنَ اللهِ حَــــــــــقٌّ   لَا أَرَى فِيــــــــهِ ارْتِيَــــــــابَا

فقال أبوه: واللهِ أيها القاضي ما تعلَّم هاتين الآيتين إلا البارحة؛ لأنه سرق مصحفًا من بعض جيراننا. فقال القاضي: قبحكم الله أحدكما يقرأ كتاب الله ولا يعمل به!

وعن المزني أنه قال: سمعت الشافعي يقول قرأ رجل: «فما لكم في المنافقين قيس»،(٧) قيل: فما قيس؟ قال: يقتاسون به.

قال: حدثني أبو بكر مُحَمَّد بن جعفر السواق قال: كان عليَّ وعد

أُنفِذُه لابن عبدان الصيرفي، فأخَّرته لضرورة، فجاءني يقتضيني وقال لي في عرض الخطاب: أقول لك يا أبا بكر كما قال الله تعالى: «وشديد عادة متنزعة» فقلت: إنَّا لله وإنا إليه راجعون، والله ما قال الله من هذا شيئًا. فاستحيا وقام، فما عاد لي أيامًا فلما حضرت الدراهم أنفذتها إليه.

وعن يحيى ابن أكثم قال: قدَّم رجل ابنه إلى بعض القضاة ليحجر عليه، فقال: فيم؟ قال للقاضي: أصلحك الله إن كان يحسن آيتين من كتاب الله فلا تحجر عليه. فقال له القاضي: اقرأ يا فتي فقال:

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتًى أَضَاعُوا ... لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسَدَادِ ثَغْرِ

فقال أبوه: أصلحك الله! إن قرأ آية أخرى فلا تحجر عليه. فحجر القاضي عليهما.

وعن أبي عبد الله الشطيري قال: كان إبراهيم يقرأ على الأعمش فقال: «قال لمن حولِه ألا تستمعون»، فقال الأعمش: (لِمَنْ حَوْلَهُ) فقال: ألست أخبرتني أن «من» تجر ما بعدها؟

قال: حدثنا الدارقطني قال: ذكر أبو بكر عن حماد أنه قرأ «والغاديات صبحًا»(٨) بالغين المعجمة والصاد المهملة، فأخبروا بذلك عقبة فامتحنه بالقراءة في المصحف فصحَّف في آيات عدة فقرأ: «ومما يغرسون»،(٩) «وعدها أباه»،(١٠) «أصبت به من أساء»،(١١) «فبادوا(١٢) ولات حين»، «لا يسع(١٣) الجاهلين»، «فأنا أول العائدين»،(١٤) «كل خباز».(١٥)

قال: حدثني الدارقطني قال: ثنا علي بن موسى قال: قرأ أبو أحمد العراقي على عبد الله بن أحمد بن حنبل: «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفِعِه» بكسر العين فقال له: إنما هو «يَرْفَعُهُ»، قال: هكذا الوقف عليه.

قال الدارقطني: حدثنا النقاش قال: كنت بطبرية الشام أكتب على شيخ فيها عنده جزء فيه عن أبي عمرو الدوري، وكان فيه أن يحيى بن معمر قرأ: «إن لك في النهار شيخًا[١٦] طويلًا» فقرأ على الشيخ وعلى من كان يسمع معه شيخًا بالشين المعجمة وبالخاء والياء.

كان رجل كثير المخاصمة لامرأته وله جار يعاتبه على ذلك، فلما كان في بعض الليالي خاصمها خصومة شديدة وضربها فاطَّلع عليه جاره فقال: يا هذا، اعمل معها كما قال الله تعالى: «إما إمساك إيش اسمه أو تسريح ما أدري إيش».

وجه فزارة صاحب مظالم البصرة رجلًا يومًا في حاجة فقضاها ورجع إليه، فقال فزارة: أنت كما قال الله تعالى:

إِذَا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مُرْسِلًا فَأَرْسِلْ حَكِيمًا وَلَا تُوصِهِ

قال رجل لابنه: وهو في المكتب في أي سورة أنت؟ قال: في «لا أقسم بهذا البلد ووالدي بلا ولد»[١٧] فقال أبوه: لعمرى من كنتَ ابنَه فهو بلا ولد.

قال المأمون لبعض كُتَّابه: ويلك ما تحسن تقرأ؟ قال: بلى والله إني لأقرأ من سورة واحدة ألف آية.

سمعت ابن الرومي يقول: خرج رجل إلى قرية فأضافه خطيبها فأقام عنده أيامًا فقال له الخطيب: أنا منذ مدة أصلي بهؤلاء القوم، وقد أشكل عليَّ في القرآن بعض مواضع. قال: سلني عنها. قال منها في الْحَمْدُ لِلهِ: إياك نعبد وإياك، أي شيء تسعين أو سبعين؟ أشكلت عليَّ هذه فأنا أقولها تسعين، آخذ بالاحتياط.

---

(١) صحتها: فَطَلٌّ.

(٢) صحتها: الْجَوَارِحِ.

(٣) صحتها: أَوْ يُخْرِجُوكَ.

(٤) صحتها: هَوْنًا.

(٥) والصحيح ابن أورمة.

(٦) يريد: خَبِيرًا.

(٧) صحتها: فِئَتَيْنِ.

(٨) صحتها: وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا.

(٩) صحتها: يَعْرِشُونَ.

(١٠) صحتها: إِيَّاهُ.

(١١) صحتها: أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ.

(١٢) صحتها: فَنَادَوْا.

(١٣) صحتها نَبْتَغِي.

(١٤) صحتها: الْعَابِدِينَ.

(١٥) صحتها: جَبَّارٍ.

(١٦) صحتها: سَبْحًا.

(١٧) صحتها: وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ.

الباب الحادي عشر

في ذكر المغفلين من رواة الحديث والمُصحِّفين

قال أبو بكر بن أبي أويس: بينَا عبد الله بن زياد يحدث انتهى إلى حديث شهر بن حوشب فقال: حدثني شهر بن خوشب فقلت: من هذا؟ فقال: رجل من أهل خراسان اسمه من أسماء العجم. فقلت: تريد شهر بن حوشب؟ فعلمنا أنه يأخذ من الكتب.

وعن عوام بن إسماعيل قال: جاء حبيب كاتب مالك يقرأ على سفيان بن عيينة، فقال: حدثكم المسعودي عن جراب التميمي. فقال سفيان: ليس هو جراب إنما هو خوات. وقرأ عليه: حدثكم أيوب عن ابن شيرين. فقال: ليس كذلك إنما هو سيرين.

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل أنه يقول حكاية عن بعض شيوخه قال: قال رجل لهشيم: يا أبا معاوية، أخبركم أبو حرة عن الحسن. فقال هشيم: أخبرنا أبو حرة عن الحسن ووصف شيخنا ضحك هشيم هه هه.

وعن مُحَمَّد بن يونس الكندي أنه قال: حضرت مجلس مؤمل بن إسماعيل فقرأ عليه رجل من أهل المجلس: حدثكم سبعة وسبعين. فضحك المؤمل وقال للفتى: من أين؟ فقال: من مصر.

حدثنا إسحاق قال: كنا عند جرير فأتاه رجل وقال: يا أبا عبد الله

تقرأ علي هذا الحديث فقال وما هو؟ قال: حدثنا خربز عن رقبة. قال: ويحك! أنا جرير.

حدثنا مُحَّد بن سعيد قال: سمعت الفضل بن يوسف الجعفي يقول: سمعت رجلًا يقول لأبي نعيم حدثتك أمك؛ يريد حدثك أمي الصيرفي.

قال أبو نعيم: كتب عبد الملك إلى أبي بكر بن حزم أن «احص» من قبلك من المخنثين. فصحَّف الكاتب فقرأ بالخاء فخصاهم. فقال بعض المخنثين: اليوم استحققنا هذا الاسم.

حدثنا يحيى بن بكير قال: جاء رجل إلى البشير بن سعد فقال: كيف حدَّثك نافع عن النبي ﷺ «في الذي نُشِرَتْ في أبيه القصة»؟ فقال الليث: ويحك! إنما هو «في الذي يشرب في آنية الفضة.»

قال الدارقطني: وحدثني مُحَّد بن يحيى الصولي قال: حدثنا أبو العيناء قال: حضرت مجلس بعض المحدِّثين المغفَّلين فأسند حديثًا عن النبي ﷺ عن جبرائيل عن الله عن رجل، فقلت: من هذا الذي يصلح أن يكون شيخ الله؟! فإذا هو قد صحَّفه وإذ هو عز وجل. وقد نبأنا بهذه الحكاية أبو عبد الله الحسين بن مُحَّد البارع قال: سمعت القاضي أبا بكر بن أحمد بن كامل يقول: حضرت بعض المشايخ المغفَّلين فقال: عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن الله عن رجل. فقلت: من هذا الذي يصلح أن يكون شيخ الله؟! فإذا هو «عز وجل» وقد صحَّفه.

قال: حدثنا أبو أيوب سليمان بن إسحاق الخلَّال، قال: قال إبراهيم الحربي: قدم علينا مُحَّد بن عباد المهلبي فذهبنا إليه فسمعنا منه ولم يكن

بصيرًا بالحديث، حدثنا بحديث فقال: إن النبي ﷺ ضحى بهرة[1] وغلط، إنها التصقت الباء بالقاف.

قال: سمعت مُحَمَّد بن حمدان يقول: سمعت صالحًا - يعني جزرة - يقول: قدم علينا بعض الشيوخ من الشام، وكان عنده كراس فيه عن جرير فقرأت عليه: حدثكم جرير عن ابن عثمان أنه كان لأبي أسامة خرزة يرقي بها المريض. فصحفت أنا الخرزة فقلت: كان لأبي أسامة جزرة، قال الخطيب: وبهذا سمي صالح جزرة.

قال: حدثنا أبو الحسن الدارقطني أن أبا موسى مُحَمَّد بن المثنى قال لهم يومًا: نحن قوم لنا شرف، نحن من عنزة، وقد صلى النبي صلى الله عليه إلينا؛ لِما روي أنه ﷺ صلى إلى عنزة. توهم أنه صلى إليهم وإنما العنزة التي صلى إليها النبي ﷺ هي حربة كانت تُحمَل بين يديه فتنصب فيصلي إليها.

وعن عبد الله ابن أبي بكر السهمي قال: دخل أبي على عيسى بن جعفر بن المنصور وهو أمير البصرة فعزَّاه عن طفل مات له، ودخل عليه شبيب بن شيبة فقال: أبشر أيها الأمير فإن الطفل لا يزال محبنظئًا[2] على باب الجنة ويقول: لا أدخل حتى يدخل والداي. فقال له: يا أبا معمر دع الظاء والزم الطاء. فقال له: أنت تقول لي هذا وما بين لابتيها أفصح مني؟! فقال له أبي: فهذا خطأ ثانٍ، من أين للبصرة لابة! واللابة الحجارة السود والبصرة حجارة بيض. قال: فكان كلما انتعش انتكس.

وعن أبي حاتم الرازي أنه قال: كان عمر بن مُحَمَّد بن الحسين يصحِّف

فيقول معاد بن حبل، حجاج بن قراقصة، وعلقمة بن مريد. فقلت له: أبوك لم يسلمك إلى الكُتَّاب؟ فقال: كانت لنا صبية شغلتنا عن الحديث.

قال الدارقطني: وأخبرني يعقوب بن موسى قال: قال أبو زرعة: كان بشر بن يحيى بن حسان من أصحاب الرازي، وكان يناظر فاحتجوا عليه بطاوس، فقال: يحتجون علينا بالطيور!

قال أبو زرعة: وبلغني أنه ناظر إسحاق في القرعة، فاحتج عليه إسحاق بالأحاديث الصحيحة فأفحمه فانصرف، ففتش كتبه فوجد في حديث النبي ﷺ القرع فصحف بالراء، فانصرف وقال لأصحابه: قد وجدت حديثًا أكسر به ظهره. فأتى إسحاق فأخبره فقال: إنما هو القزع.

وسأل حمادَ بن يزيد غلامٌ فقال: يا أبا إسماعيل حدَّثك عمر أن النبي ﷺ نهى عن الخبز؟ قال: فتبسم حماد وقال: يا بني، إذا نهى عن الخبز فمن أي شيء يعيش الناس؟ وإنما هو نهى عن الخمر.

وعن يحيى بن معين قال: قدِم داود بن أبي هند عليهم الكوفة فقام مستملي أهل الكوفة فقال: كيف حديث سعيد يكفن الضبي في ثوب واحد؟ يريد «يكفن الصبي في ثوب واحد.»

وعن الحسن بن البرا قال: كان لعمر بن عون ورَّاق يلحن فأخَّره وتقدم إلى وراق أديب أن يقرأ عليه فقرأ: حدثكم هسيم. فقال ردونا إلى الأول فإنه يلحن وهذا يمسخ.

وجاء رجل إلى الليث بن سعد فقال: كيف حدثك نافع عن النبي ﷺ في الذي نشرت في أبيه القصة؟

قال: حدث أبو حفص بن شاهين عن النبي ﷺ أنه قال: «يوشك أن تسير الظعينة بلا خفير.» فصحف فقال: بلا خفين.

قال: كان حيان بن بشر قد تولَّى قضاء بغداد وأصبهان، وكان من جملة رواة الحديث، فروى يومًا: أن عرفجة قطع أنفه يوم الكلام، وكان مستمليه رجلًا من أهل كجة، فقال: أيها القاضي إنما هو الكلاب، فأمر بحبسه فدخل الناس إليه فقالوا: ما دهاك؟ فقال: قُطِعَ أنف عرفجة في الجاهلية وابْتُلِيتُ أنا به في الإسلام.

وعن عبد الله بن ثعلبة قال: كان رسول الله ﷺ يمسح وجهه من «القيح» قال عبد الله: أخطأ فيه وصحف - يعني المخزومي - إنما هو «الفيح».

وعن معاوية ابن أبي سفيان قال: لعن رسول الله ﷺ الذين يشققون الخطب تشقيق الشعر، قال أبو نعيم: شهدت وكيعًا مرة يقول: يشققون الحطب. فقلت: بالحاء؟ قال نعم.

عن عامر بن صعب قال: «اعتكفت» عائشة عن أختها بعدما ماتت. كذا قال وإنما هو «أعتقت».

قال حدثنا الشافعي قال: قيل لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: حدثك أبوك عن جدك أن رسول الله ﷺ قال إن سفينة نوح طافت بالبيت سبعًا وصلت خلف المقام ركعتين؟ قال: نعم.

قال: حدثنا إسحاق بن وهب قال: كُنَّا عند يزيد بن هارون، وكان له مستملٍ يقال له بريح، فسأله رجل عن حديث فقال يزيد: حدثنا به عدة.

فصاح به المستملي: يا أبا خالد عدة ابن من؟ قال: عدة بن فقدتك.

قال: حدثني الفضل بن أبي طاهر قال: صحَّف رجل في قول النبي ﷺ: «عم الرجل صِنو أبيه.» فقال: «عم الرجل ضيق آنية.»

وعن زكريا بن مهران قال: صحَّف رجل: «لا يورث حميل إلا ببينة.» الحميل: اللقيط. فقال: «بثينة.»

قال: حضرت أحمد بن يحيى بن زهير ورجل من أصحاب الحديث يقول له: كيف الزبير بن خريت؟ فقال له: ابن زهير لا خريت ولا كنت، إنما هو خرِّيت والخريت الدليل الحاذق.

قال العسكري: روى شيخ مغفَّل أن النبي ﷺ احتجم وأعطى الحجام آجُرَّة (بضم الجيم وتشديد الراء).

وقال العسكري: وأنبأ أبو بكر بن الأنباري قال: حدثنا أبي قال: قرأ القطربلي على ثعلب بيت الأعشى:

فلو كنت في حب، ثمانين قامة ... ورقيت أسباب السماء بسلم

فقال له العباس: خرب بيتك! هل رأيت حبًّا[٣] ثمانين قامة قط؟ إنما هو جب.

قال حجاج: جاء رجل إلى عبد القدوس بن حبيب فقال له: أعد عليَّ الحديث الذي حدثت به. فقال: لا تتخذوا شيئًا فيه الروح عرضًا (بالعين المهملة والراء المفتوحة)، فقال له الرجل: ما معنى هذا؟ فقال: هو الرجل يخرج من داره القسطرون يعني الروشن والكنيف. قلت: وهذا صحف

الحديث وفسَّره على التصحيف، وإنما الحديث: «لا تتخذوا شيئًا فيه الروح غرضًا.» (بالعين المعجمة).

حدثنا سعيد بن عمر قال: قال لي أبو زرعة: أظن للقاسم بن أبي شيبة رأي في كتاب إنسان عن ابن فضيل عن أبيه عن المغيرة عن سعيد بن جبير: «المرجية يهود القبلة.» فعلقه ولم يضبطه، فكان يحدث به عن ابن فضيل فيقول: «المرء حيث يهوى قلبه.»

قال الدارقطني: وسمعت أبا العباس ابن أبي مهران يقول: كان ابن جميل الرازي يريد أن يُخرج التفسير، فأخرجه في رقاع، فأخرج ذات ليلة رقعة إلى الوراقين فقال: «الأكثرون هم الأقلون إلا من قال بالمال هكذا وهكذا» في أي سورة هو؟ فقال له الوراق: ليس هذا من القرآن. فخجل ولم يخرج التفسير بعد.

قال: سمعت البرقاني يقول: قال لي الأهوازي الفقيه: كنت عند يحيى بن مُحَمَّد بن صاعد فجاءته امرأة فقالت له: أيها الشيخ، ما تقول في بئر سقطت فيها دجاجة فماتت، هذا الماء طاهر أم نجس؟ فقال يحيى: ويحك! كيف سقطت الدجاجة في البئر؟ قالت: لم تكن البئر مغطاة. قال يحيى: ألا غطيتِها حتى لا يقع فيه شيء! قال الأهوازي: فقلت: يا هذه، إن كان الماء قد تغير وإلا فهو طاهر.

قال: كنا عند بندار فقال في حديث عن عائشة قال: قالت رسول الله ﷺ فقال رجل يسخر به: أعيذك بالله ما أفصحك! فقال: كنا إذا خرجنا من عند روح دخلنا إلى أبي عبيدة. فقال: قد بان ذلك عليك.

قال: حدثنا عبد الله بن موسى والفريابي عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب قال: برز عيينة وشيبة والوليد فقالوا: من يبارز؟ فخرج من الأنصار ... قال عبد الله: ستة. والفريابي: شيبة. قال الدارقطني: قوله ستة تصحيف والأصح ما قاله الفرياني؛ لأن الذين خرجوا من الأنصار ثلاثة.

قال الدارقطني: وقرأت في أصل أبي عبد الله بن مخلد عن يحيى بن معين قال: قال الوراق في حديث عائشة أن النبي ﷺ لما أتى البقيع حسَا رايته.

قال الدارقطني: حدثنا أبي قال: ورد يحيى بن آدم فقال أخطأ في حديث كعب قال: قال الله: أنا أشج وأداوي. وأخطأ يحيى خطأ قبيحًا فقال: أسحر وأداوى.

قال أبو الهيثم القاضي: سمعت أحمد بن صالح يقول: قدمت «أُبُلَّةَ» فتلقيت سلامة بن روح، فسمعته يحدث حديثًا لسقيفة فقال فيه: ولا بيعة للذي بايع بعرة أن يفتلا. فقلت: إنما هو «تغرة أن يقتلا.» فقال لي: لا هو كما قلت لك. قلت: فما معناه؟ قال: البعرة تفتلها في يدك تفتيلًا فتنتشر.

قال الدارقطني: أملى علينا أبو بكر الصولي حديث أبي أيوب: «من صام رمضان وأتبعه ستًّا من شوال ...» فقال: شيئًا من شوال.

وروى أحمد بن جعفر الحنبلي حديث أبي سعيد: «لا حليم إلا ذو عثرة.» فقال: غيره (بالغين المعجمة والياء).

قال الدارقطني: وحدثنا مُحَمَّد بن أحمد قال: أملى علينا أبو شاكر مولى

المتوكل في حديث: «اكتحلوا وترًا واذهبوا عنا.» أراد وادَّهنوا غبًّا.

قال: وقد روى ابن لهيعة أن رسول الله ﷺ احتجم في المسجد، وإنما هو احتجر.

قال الدارقطني: بلغني أن امرأة جاءت إلى علي بن داود وهو يحدِّث وبين يديه مقدار ألف نفس فقالت له: حلفت بصدقة إزاري. قال: بكم اشتريتِه؟ قالت: باثنين وعشرين درهمًا. قال: اذهبي فصومي اثنين وعشرين يومًا. قال: فلما مرت أخذ يقول: آه آه! غلطنا واللهِ؛ أمرناها بكفارة الظهار.

حدثني مُحَمَّد بن عدي البصري قال: رأيت رجلًا وهو يقول: قال النبي ﷺ:

من بر يومًا بُرَّ به   والدهر لا يُغتر به

قال حدثنا مُحَمَّد بن عيسى قال: حدثنا عباس قال: سمعت يحيى بن معين يقول: عن سعيد بن مسلم، كان عنده كتاب عن منصور فقال له رجل: سمعت هذا الكتاب؟ فقال: حتى يجيء أبي وأسأله.

قال الدارقطني: سمعت حمزة السهمي يقول: سمعت على شيخ وأخذنا بكتابة السماع، فقال: اكتبوا اسمي معكم. فقلت للإسماعيلي: من الغُفْلة ذلك؟ قال: نعم. حدثني أبو الحسن بن خلف الفقيه قال: كتب لنا بعض المشايخ خطه في إجازة ولم يكتب اسمه فقلنا له: اكتب اسمك. فقال: والله لا أفعل ولا أكتب اسمي لمن لا أعرفه.

وعن أحمد بن علي بن ثابت قال: قرأت في كتاب أبي الفتح عبد الله بن أحمد النحوي بخطه: سمعت القاضي أحمد بن كامل يقول: ما جمع أحد

من العلم ما جمع مُحَمَّد بن موسى البربري، ودخلت عليه يومًا وهو مغموم فقلت له: ما لك؟ فقال: فلانة – يعني امرأته – حملتني على أن أعتقت هذه الجارية وقد بقِيتُ لا أمَة لي تخدمني ولا أحد يعينني. قلت: وأي شيء مقدار ثمن الجارية؟ فقال: إن امرأتي دفعت إليَّ دنانير أشتري لها بها جارية، فاشتريت هذه الجارية. فقلت: تعتق ما لا تملك؟ قال: كأنه لا يجوز؟ قلت: لا، الجارية لها على ملكها. فجعل يدعو لي.

قال الجاحظ: أمليت مرة على إنسان عَمرًا فاستملى سترًا وكتب زيدًا.

قال إسماعيل بن مُحَمَّد الحافظ: كنا بمجلس نظام الملك فأملى:

أف للـــــــــدنيا الدنيَّـــــــــةْ　　　دراهـــــــــــم وبليَّـــــــــــةْ

فقال المستملي: وتلية؟ فقيل له: وبلية. فقال: وملية؟ فضحك الجماعة، فقال النظام: اتركوه.

ذكر مُحَمَّد بن الحسن عن بعض المغفلين وقيل له: فلان مات في الري. فقال: إلى الري رحلتان لا أدري في أيهما مات.

قال: سمعت أحمد بن مُحَمَّد بن عيسى الوراق يقول: سمعت عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي يقول: سمعت أبي يقول: كتب إليَّ صالح بن مُحَمَّد العبادي أن مُحَمَّد بن يحيى لما مات أجلسوا مكانه محدِّثًا يُعرَف بمحمد بن يزيد، فأملى عليهم: «يا أبا عمير ما فعل البعير؟» وأملى عليهم: «لا تصحب الملائكة رفقة فيها حرس يعني الذئب.» (٤)

وذكر أبو إسماعيل الخطابي أن عبد الله بن عمار قال: سرقت مني عبية

ومعنا رجل متهم. فجئت إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقلت: قد هممت أن آتي به مصفودًا. فقال: بغير بينة؟ قال الخليل: هذا ممَّا صحَّف فيه الراوي، إنما قال عمر: تفترسه؟ يعني تتقوى عليه؛ لأنه لو أقام عليه البينة لم يكن له في الحكم تكتيفه.

ويحكى أن يحيى بن معين قال: صحَّف رجل في حديث أبي عبيدة أنه كان على الحسر فروى على الجسر، والحسر جمع حاسر وهو الذي لا درع عليه.

قال الخطابي: وصحَّف بعضهم: لو صليتم حتى تكونوا كالحنائز.

وصحَّف آخر في حديث يأجوج ومأجوج، أنها إذا هلكت أكلت منها دواب الأرض فتشكر –أي تسمن– فصحَّف فقال: تسكر من سكر الشراب.

وحكى لنا أبو بكر بن عبد الباقي البزاز صحَّف رجل فقال: حدثنا سقنان البوري عن جلد المجدا عن اتش عن النبي ﷺ قال: اذهبوا عنَّا، أراد سفيان الثوري عن خالد الحذاء عن أنس عن النبي ﷺ قال: «ادهنوا غبًّا.»

---

(١) صحتها «بقرة».

(٢) صحتها «محبنطئًا» بالطاء المهملة وهو المتمتع في ظلال الأشجار.

(٣) الحب هو الجرة الضخمة، والمشهورة عند العامة بالزلعة.

(٤) أصل الحديث: «لا تصحب الملائكة رفقة فيها جرس.» بالجيم.

الباب الثاني عشر

في ذكر المغفلين من الأمراء والولاة

قال مُحَمَّد بن زياد: كان عيسى بن صالح بن علي يحمق، وكان له ابنٌ يقال له عبد الله من عقلاء الناس، فتولى عيسى جند «قنسرين» فاستخلف ابنه على العمل، قال ابنه: فأتاني رسوله في بعض الليل يأمرني بالحضور في وقت منكر لا يُحضَر فيه إلا لأمر مهمٍّ، فتوهمت أن كتابًا ورد من الخليفة في بعض الأشياء التي يحتاج فيها إلى حضوري وحضور الناس، فلبست السواد وتقدمت بالبعثة إلى وجوه القُوَّاد وركبت إلى داره، فلما دخلتُها سألت الحُجَّاب: هل ورد كتاب من الخليفة أو حدث أمر؟ فقالوا: لم يكن من هذا شيء. فصرت من الدار إلى موضع تخلُّف الحُجَّاب عنه فسألت الخُدَّام أيضًا فقالوا مثل مقالة الحُجَّاب، فصرت إلى الموضع الذي هو فيه فقال لي: ادخل يا بني. فدخلت فوجدته على فراشه فقال: علمت يا بني أني سهرت الليلة في أمر أنا مفكر فيه إلى الساعة. قلت: أصلح الله الأمير، ما هو؟ قال اشتهيت أن يصيرني الله من الحور العين ويجعل في الجنة زوجي يوسف النبي. فطال في ذلك فكري قلت: أصلح الله الأمير فالله عز وجل قد خلقك رجلًا فأرجو أن يدخلك الجنة ويزوِّجك من الحور العين، فإذا وقع هذا في فكرك فهلَّا اشتهيت محمدًا ﷺ أن يكون زوجك، فإنه أحق بالقرابة والنسب وهو سيد الأولين والآخرين في أعلى عليين؟ فقال:

يا بني لا تظن أني لم أفكر في هذا؛ فقد فكرت فيه ولكن كرهت أن أغيظ السيدة عائشة.

حدثنا المدائني قال: جاء رجل من أشراف الناس إلى بغداد فأراد أن يكتب إلى أبيه كتابًا يخبره فلم يجد أحدًا يعرفه، فانحدر بالكتاب إلى أبيه وقال: كرهت أن يبطئ عليك خبري ولم أجد أحدًا يجيء بالكتاب فجئت أنا به. ودفعه إليه.

قال ابن خلف: واختصم رجلان إلى بعض الولاة فلم يحسن أن يقضي بينهما، فضربهما وقال الحمد لله الذي لم يفتني الظالم منهما.

أخبرني سعيد بن جعفر الأنباري قال: سمعت أبي يقول غضب أبو الخيثم على عامل له فكُلِّم في الرضاء عنه فقال: لا واللهِ أو يبلغني عنه أنه قبَّل رجلي.

قال عثمان الجاحظ: كان فزارة صاحب مظالم البصرة وكان أطول خلق الله لحية وأقلهم عقلًا، وهو الذي قال فيه الشاعر:

ومن المظالم أن تكون على المظالم يا فزارهْ

وأخذ الحجام يومًا من شعره فلما فرغ دعا بمرآة فنظر فيها فقال للحجام: أما شعر رأسي فقد جوَّدتَ أخذه، ولكنك واللهِ يا ابن الخبيثة سلحت على شاربي. ووضع يديه عليه.

وسمع فزارة يومًا صياحًا فقال: ما هذا الصياح؟ فقالوا قوم يتكلمون في القرآن. فقال: اللهم أرحنا من القرآن.

واجتاز به صاحب دراج فقال: بكم تبيع هذا الدراج؟ فقال: واحد بدرهم. قال: لا. قال: كذا بعت. قال: نأخذ منك اثنين بثلاثة دراهم. قال: خذ. فقال: يا غلام، أعطه ثمن اثنين ثلاثة دراهم فإنه أسهل للمبيع.

وبلغنا أن المهلب ولى بعض الأعراب كُورَةً بخُراسان وعزل واليها، فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس اقصدوا لما أمركم الله به فإنه رغَّبكم في الآخرة الباقية وزهَّدكم في الدنيا الفانية، فرغبتم في هذه وزهدتم في تلك فيوشك أن تفوتكم الفانية ولا تحصل لكم الباقية، فتكونوا كما قال الله تعالى «لا ماءك أبقيت ولا حرك أنقيت.» [1] واعتبروا بالمغرور الذي عُزِلَ عنكم؛ سعى وجمع فصار ذلك كله إلى عليَّ رغم أنفه وصار كما قال الله سبحانه وتعالى:

أبشـــــري أم خالـــــــد ... رب ســــــاعٍ لقاعـــــد

ثم نزل عن المنبر.

وبلغنا أن يزيد بن المهلب ولَّى أعرابيًّا على بعض كور خراسان، فلما كان يوم الجمعة صعد المنبر وقال: الحمد لله. ثم أُرْتِجَ عليه فقال: أيها الناس إياكم والدنيا، فإنكم لم تجدوها إلا كما قال الله تعالى:

ومـــا الـــدنيا بباقيـــة لحـــي ... ومـــا حـــي علـــى الـــدنيا ببـــاقي

فقال كاتبه: أصلح الله الأمير هذا شعر. قال: فالدنيا باقية على أحد؟ قال: لا. قال: فيبقى عليها أحد؟ قال: لا. قال: فما كلفتك إذن؟

وبلغنا أن بعض العرب خطب في عملٍ وَلِيَهُ فقال في خطبته: إن الله

خلق السموات والأرض في ستة أشهر، فقيل له: في ستة أيام. فقال: والله أردت أن أقولها ولكن استقللتها.

قال: حدثنا أبو بكر النقاش قال: كتب كاتب منصور بن النعمان إليه من البصرة أنه أصاب لصًّا فكَرِهَ الإقدام على قطعه دون الاستطلاع على أمره وإنه خياط. فكتب إليه: اقطع رجله ودع يده. فقال: إن الله أمر بغير ذلك! فكتب إليه: أنفذ ما أمرتك به فإن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب.

وأتى منصورًا نخاس ببغل فقال: هذا شراؤه أربعون دينارًا. فقال: لا تربح عليَّ شيئًا هذه المرة، يا غلام أعطه ألفًا وخمسمائة دينار.

ودخل على المأمون فقال: يا أمير المؤمنين، الموت فاشٍ بالكوفة ولكنه سليم.

ودخل على أحمد بن أبي حاتم وهو يتغدَّى برءوس، فقال له أحمد: هلم يا أبا سهل فإنها رءوس الرُّضَّع. فقال: هنيئًا، أطعمنا الله وإياك من رءوس أهل الجنة.

وقال له المأمون: يا منصور قد مدت دجلة فأشر علينا. فقال: تكتري مائة سقَّاء يستقون ذا الماء يرشون الطريق. فقال له المأمون: حرت فيك.

قال: حدثنا مُحَمَّد بن خلف قال: قال بعض الولاة لكاتبه: اكتب إلى فلان وعنِّفه وقل له: بئس ما صنعت يا خرا. فقال الكاتب: أعزك الله لا يحسن هذا في المكاتبة. قال: صدقت الحْسْ موضع الخرا بلسانك.

أخبرني الأمير أبو بكر بن بدر قال: شغب رجال على الحسين بن مخلد يومًا وطالبوه بالمال فقال: أنا ما معي مال في بيتي أخرجه، وإنما أنا للسلطان كالمرملة إن صَبَّ في أعلاي شيئًا أخذتموه من أسفلي، فإن صبرتم إلى أن تَرِدَ الأموال فرَّقت عليكم وإلا فالأمر لكم.

حدثنا أبو علي مُحَمَّد بن الحسن الكاتب قال: كنت أكتب لأبي الفضل بن علان وهو بأرجان يتقلَّدها فقيل له: قدم أبو المنذر النعمان بن عبد الله يريد فارس والوجه أن تلقاه في غدٍ. وكان ابن الفضل يُحَمُّ حُمَّى الربع فقال: كيف أعمل وغدًا يوم حُمَّايَ ولا أتمكن من لقاء الرجل؟! ولكن الوجه أن أُحَمَّ الساعة حتى أقدر عليه غدًا، يا غلام هات الدواج حتى أحم الساعة، فإذا عنده أنه إذا أراد أن يقدم نوبة الحمى ويصح غدًا تأخرت عنه الحمى.

حدثنا المدائني قال: كان عبد الله بن أبي ثور والي المدينة فخطبهم فقال: أيها الناس اتقوا الله وارجوا التوبة، فإنه أهلك قوم صالح في ناقة قيمتها خمسمائة درهم. فسموه مقوم الناقة وعزله الزبير.

قال: وكتب حيان عامل مصر إلى عمر بن عبد العزيز: إن الناس قد أسلموا، فليس جزية. فكتب إليه عمر: أبعدَ اللهُ الجزيةَ؛ إن الله بعث محمدًا هاديًا ولم يبعثه جابيًا للجزية.

حدثنا سليمان بن حسن بن مخلد قال: حدثني أبي قال: كنت عند شجاع بن القاسم، وقد دخل قوم من المتظلِّمين خاطبهم في أمورهم فقال: ليس النظر في هذا الآن والأمير يجلس للنظر في هذا ومثله أول من أمس فتصيرون إليه.

دخل شجاع على المستعين مرة وطرف قبائه مخرق، فسأله عن سبب ذلك فقال: اجتزت في الدرب وكان فيه كلب فوطأت قباءه فخرق ذنبي. فما تمالك المستعين أن ضحك.

وعن جرير بن المقفع عن وزير كسرى قال: كان قباذ أحمق، كان يأتي البستان فيشم الريحان في منبته ويقول: لا أقلعه رحمة له.

وبلغنا عن نصر بن مقبل – وكان عامل الرشيد على الرقة – أنه أمر بجلد شاةٍ الحدَّ فقالوا: إنها بهيمة. قال: الحدود لا تعطل وإن عطلتها فبئس الوالي أنا. فانتهى خبره إلى الرشيد فلما وقف بين يديه قال: من أنت؟ قال: مولًى لبني كلاب. فضحك الرشيد وقال: كيف بصرُك بالحكم؟ قال: الناس والبهائم عندي واحد في الحق ولو وجب الحق على بهيمة وكانت أمي أو أختي لحَدَدْتُهَا ولم تأخذني في الله لومة لائم. فأمر الرشيد أن لا يُستعان به.

حضر بعض حكماء الهند مع وزير ملكهم وكان الوزير ركيكًا فقال للحكيم: ما العلم الأكبر؟ قال: الطب. قال: فإني أعرف من الطب أكثره. قال: فما دواء المبسم أيها الوزير؟ قال دواؤه الموت حتى تقل حرارة صدره، ثم يعالج بالأدوية الباردة ليعود حيًّا. قال: ومن يحييه بعد الموت؟ قال: هذا علم آخر، وُجِدَ في كتاب النجوم أن الحياة للإنسان خير من الموت. فقال الحكيم: أيها الوزير الموت على كل حال خير للجاهل من الحياة.

عرض أبو خندف دوابَّه فأصاب فيها واحدة عجفاء مهزولة فقال:

هاتوا الطبَّاخ، فبطحه وضربه خمسين مقرعة وقال له: ما لهذه الدابة على هذه الحال؟! قال: يا سيدي، أنا طباخ ما علمي بأمر الدواب؟! قال: بالله أنت طباخ فلم لَمْ تقل لي؟ اذهب الآن فإذا كان غدًا أضرب السائس ستين مقرعة يفضل عشرون، فطب نفسًا.

وروى أبو الحسن مُحَمَّد بن هلال الصابي قال: خرج قوم من الديلم إلى إقطاعهم فظفروا باللص المعروف بالعراقي، فحملوه إلى الوزير أبي عبد الله المهلبي فتقدم بإحضار أبي الحسين أحمد بن مُحَمَّد القزويني الكاتب، وكان ينظر في شرطة بغداد، فقال له المهلبي: هذا اللص العَيَّار العراقي الذي عجزتم عن أخذه فخذوه واكتب خطك بتسليمه. فقال: السمع والطاعة إلى ما يأمر به الوزير، ولكنك تقول ثلاثة وهذا واحد فكيف أكتب خطي بتسليم ثلاثة؟ فقال: يا هذا هذا العدد صفة لهذا الواحد. فكتب: يقول أحمد بن مُحَمَّد القزويني الكاتب: تسلمت من حضرة الوزير اللص العيار العراقي ثلاثة وهُم واحد رجل وكُتِبَ بخَطِّه في التاريخ. فضحك الوزير وقال لنصراني هناك: قد صحح القزويني مذهبكم في تسليم هذا اللص.

وقال بعض الكتاب لمغنية: اكتبي لي هذا الصوت فقالت: أنت الكاتب. فقال: أنت تكتبينه بلحنه وأنا لا أحسن أكتبه بلحنه.

قال أبو الحسن بن هلال الصابي: عَرضُ على الوزير ذي السعادات أبي الفرج مُحَّد بن جعفر بعضُ التجار المسافرين ثلاثَ شقاق حرير، فبقيت عنده مدة فجاء صاحبها وطلبها ففتح الوزير الدواة وكتب على هذه بخط غليظ: هذه لا تصلح. وكتب على أخرى: وهذه غير مرضية. وعلى

أخرى: وهذه غالية. وقال: ادفعوها إليه. فأخذها الرجل وقد تلِفت عليه، قال: وكان إذا أخطأ الفرس تحته يأمر بقطع علفه تأديبًا له، فإذا قيل له في ذلك قال: أطعموه ولا تُعلموه أنني علمت بذلك.

وجاء بعض النصارى إلى عبد الله بن بشار، وكان عامل المدينة فقال: أريد أن أسلم على يدك فقال: يا ابن الفاعلة ما وجدت في عسكر أمير المؤمنين أهون مني جئت تريد أن تلقي بيني وبين عيسى بن مريم كلامًا إلى يوم القيامة.

صعد بعض الولاة المنبر فخطب فقال: إن أكرمتموني أكرمتكم وإن أهنتموني ليكونن أهون عليَّ من ضرطتي هذه. وضرط ضرطة.

جاز بعض الأمراء المغفلين على بياع الثلج فقال: أرني ما عندك. فكسر له قطعة وناوله فقال: أريد أبرد من هذا. فكسر له من الجانب الآخر فقال: كيف سعر هذا؟ فقال: رطل بدرهم ومن الأول رطل ونصف بدرهم. فقال: زن من الثاني.

وجاز يومًا بطينٍ في شارع باب الشام فقال لأصحابه: السلطان يريد أن يركب فإن أنا رجعت ورأيت هذا الطين موضعه ضربته بالنار ولا ينفعكم شفاعة أحد.

خطب قبيصة وهو خليفة أبيه على خراسان، فأتاه كتابه فقال: هذا كتاب الأمير وهو واللهِ أهل أن يُطاع وهو أبي وأكبر مني.

وحكى أبو إسحاق الصابي أن رجلًا من كبار كُتَّاب العجم يُعرَف بأبي العباس بن درستويه حضر مجلس أبي الفرج مُحَّد بن العباس وهو جالس

للعزاء بأبيه أبي الفضل، وقد ورد نَعِيُّهُ من الأهواز وعند أبي الفرج رؤساء الدولة وقد ولي الديوان مكان أبيه، فلما تمكن ابن دستوريه في المجلس تباكى وقال: لعلَّ هذا إرجاف. ورَدَّ كتابه فقال له أبو الفرج: قد ورد عدة كتب. فقال: دع هذا كله ورد كتابه بخطه؟ فقال: لو ورد كتابه بخطه ما جلسنا للعزاء. فضحك الناس.

وأنشد عبد الله بن فضلويه عامل «قرميسين» في مجلسه والمجلس غاصٌّ بأهله هذا البيت:

يـــوم القيامـــة يـــوم لا دواء لــــه   إلا الطـــلاء وإلا اللهـــو والطـــرب

فقال بعض الحاضرين: إنما هو يوم الحجامة. فقال: اعذروني فإني لا أحسن النحو.

---

(١) مثل معروف ذكره الميداني في مجمع الأمثال.

الباب الثالث عشر

في ذكر المغفلين من القضاة

عن ابن الأعرابي قال: خاصم أبو دلامة رجلًا إلى عافية فقال:

لَقَدْ خَاصَمَتْنِي غُوَاةُ الرِّجَالِ	وَخَاصَمْتُهُمْ سَنَةً وَافِيَةْ
فَمَا أَدْحَضَ اللهُ لِي حُجَّةً	وَمَا خَيَّبَ اللهُ لِي قَافِيَةْ
فَمَنْ كُنْتُ مِنْ جُورِهِ خَائِفًا	فَلَسْتُ أَخَافُكَ يَا عَافِيَةْ

فقال له عافية: لأشكونَّك لأمير المؤمنين. قال: لِمَ تشكون؟ قال: لأنك هجوتني. قال: والله لئن شكوتني إليه ليعزلنَّك. قال: لِمَ؟ قال: لأنك لا تعرف الهجو من المدح. عافية هذا هو ابن زيد القاضي ولاه المهدي القضاة على بغداد.

قال: حدَّث عبد الرحمن بن مسهر قال: ولاني القاضي أبو يوسف القضاء «بجبل» وبلغني أن الرشيد منحدر إلى البصرة، فسألت أهل جبل أن يثنوا عليَّ فوعدوني أن يفعلوا ذلك وتفرَّقوا، فلما آيسوني من أنفسهم سرحت لحيتي وخرجتُ فوقفت له فوافى وأبو يوسف في الحراقة فقلت: يا أمير المؤمنين نعم القاضي قاضي جبل، قد عدل فينا وفعل وصنع وجعلت أثني على نفسي، فرآني أبو يوسف فطأطأ رأسه وضحك، فقال هارون: مِمَّ تضحك؟ فقال: إن المثني على نفسه هو القاضي. فضحك هارون حتى

فحص برجليه وقال: هذا شيخ سخيف سفلة فاعزله. فعزلني.

عن علي بن هشام أنه قال: كان للحجاج قاضٍ بالبصرة من أهل الشام يقال له أبو حمير، فحضرت الجمعة فمضى يريدها فلقيه رجل من العراق فقال له: يا أبا حمير فأين تذهب؟ قال: إلى الجمعة. فقال: ما بلغك أن الأمير قد أخَّر الجمعة اليوم؟ فانصرف راجعًا إلى بيته، فلما كان من الغد قال له الحجاج أين كنت يا أبا حمير لَمْ تحضر معنا الجمعة؟ قال: لقيني بعض أهل العراق فأخبرني أن الأمير أخَّر الجمعة فانصرفت. فضحك الحجاج وقال: يا أبا حمير أما علمت أن الجمعة لا تؤخَّر.

قال المدائني: استُعمِل حيَّان بن حسان قاضي فارس على ناحية «كرمان»، فخطبهم فقال: يا أهل كرمان تعرفون عثمان بن زياد هو عمي أخو أمي. فقالوا: فهو خالك إذن!

قال ابن خلف: وسقط الذباب على وجه قاضي «عبدان» فقال: كثَّر الله بكم القبور.

قال ابن خلف: قال بعض الرواة: تقدم رجلان إلى أبي العطوف قاضي حران فقال أحدهما: أصلح الله القاضي، هذا ذبح ديكًا لي فخذ لي بحقي. فقال لهما القاضي: عليكما بصاحب الشرطة فإنه ينظر في الدماء.

قال أبو الفضل الربعي: حدثنا أبي قال: سأل المأمون رجلًا من أهل حمص عن قضاتهم، قال: يا أمير المؤمنين إن قاضينا لا يفهم وإذا فهم وَهِم. قال: ويحك! كيف هذا؟ قال: قدم عليه رجل رجلًا فادعى عليه أربعة وعشرين درهمًا فأقرَّ له الآخر فقال: أعطه. قال: أصلح الله القاضي

إن لي حمارًا أكتسب عليه كل يوم أربعة دراهم أنفق على الحمار درهمًا وعليَّ درهمًا وأدفع له درهمين، حتى إذا اجتمع ماله غاب عني فلم أره فأنفقتها وما أعرف وجهًا إلا أن يحبسه القاضي اثني عشر يومًا حتى أجمع له إياها. فحبس صاحب الحق حتى جمع ماله فضحك المأمون وعزله.

وعن أبي بكر الهذلي قال: كان ثمامة بن عبد الله بن أنس على القضاء بالبصرة قبل بلال بن أبي بردة، وكان مخلطًا فاستدعت امرأة إلى ثمامة على رجل أودعته شيئًا ولم يكن لها بَيِّنَة، فأراد استحلافه لها فقالت: إنه رجل سوء فيحلف ويذهب حقي، ولكن استحلف إسحاق بن سويد فإنه جاره، فأرسل إلى إسحاق واستحلفه.

وحكى أبو الخير الخياط عن بعض أصحابه قال: دخلت «تاهرت» فإذا فيها قاض من أهله، وقد أتى رجل جنى جناية ليس لها في كتاب الله حَدٌّ منصوص ولا في السُّنَّة، فأحضر الفقهاء فقال: إن هذا الرجل جنى جناية وليس لها في كتاب الله حكم معروف فما ترون؟ فقالوا بأجمعهم: الأمر لك. قال: فإني رأيت أن أضرب المصحف بعضه ببعض ثلاث مرات، ثم أفتحه فما خرج من شيء عملت به، قالوا له: وُفِّقْتَ. ففعل بالمصحف ما ذكره، ثم فتح فخرج قوله تعالى: سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ، فقطع أنف الرجل وخلى سبيله.

وبلغنا أن رجلًا قدَّم رجلًا إلى بعض القضاة فادعى عليه بثلاثين دينارًا وأقام شاهدًا واحدًا، فقال القاضي: ادفع له خمسة عشر دينارًا إلى أن يقيم الشاهد الآخر.

حكى فقيه من رفقائنا قال: حضر عندي أمين من أمناء القاضي فسألني عن فريضة فيها سدس: فقال ما معنى السدس؟ قلت له: من الدينار ثلاثة قراريط وحبة، وسهم من ستة أسهم، هذا هو السدس. فقال: اكتبه لي حتى أعرفه. قلت: والله لا أكتبه لك.

الباب الرابع عشر

في ذكر المغفلين من الكُتَّاب والحُجَّاب

حدثني حماد بن إسحاق قال: كتب سليمان بن عبد الملك إلى أبي بكر بن حزم أن «أحص» من قبلك من المخنَّثين، فصحَّف كاتبه فقال: «أخص.» فدعا بهم فخصاهم، وقد رويت لنا هذه الحكاية على غير هذا الوجه وأنه خصاهم لأنه كان غيورًا فإذن لا يكون تصحيفًا.

وعن الحسين بن السميدع الأنطاكي قال: كان عندنا بأنطاكية عامل من حلب، وكان له كاتب أحمق فغرق في البحر «شلنديتان» من مراكب المسلمين التي يقصد بها العدو، فكتب ذلك الكاتب عن صاحبه إلى العامل بحلب بخبرهما: بسم الله الرحمن الرحيم، اعلم أيها الأمير أعزه الله تعالى أن شلنديتين أعني مركبين، قد صفقا من جانب البحر أي غرقا من شدة أمواجه، فهلك من فيهما أي تلفوا. قال: فكتب إليه أمير حلب: بسم الله الرحمن الرحيم ورد كتابك أي وصل وفهمناه أي قرأناه، أدِّبْ كاتبك أي اصفعه واستبدل به أي اعزله؛ فإنه مائق أي أحمق والسلام أي انقضى الكتاب.

وعن عبد الله بن مُحَمَّد الصوري قال: رأيت سهل بن بشر الكاتب يومًا، وقد نعق غراب أبقع على حائط صحن الدار فضاق صدره وقال: هاتم البواب. فجيء به فقال: لِمَ تركت هذا الغراب يصيح ها هنا؟ فقال

البواب: أيها الأستاذ وأي ذنب لي، أنا أحفظ بابي وليس هذا ممن يدخل من الباب فيلزمني جنايته، فكيف أستطيع منعه من الصياح؟ فقال: قفاه! فما زال يصفع صفعًا عظيمًا إلى أن شفعت فيه.

وعن أبي علي النميري قال: تراءينا هلال شوال فأتينا سوار بن عبد الله لنشهد عنده، فقال حاجبه: أنتم مجانين، الأمير لم يختضب بعدُ ولم يتهيأ ولئن وقعت عينه عليكم ليضربنكم مائتين انطلقوا. فانصرفنا وصوم الناس يوم الفطر.

وعن أبي بكر النقاش قال: قيل لعبد الله بن مسعود القاضي: تجيز شهادة العفيف التقي الأحمق؟ قال: لا وسأريكم هذا، ادع يا غلام أبا الورد حاجبي. وكان أحمق، فلما أتاه قال: اخرج فانظر ما الريح. فخرج، ثم رجع فقال: شمال يشوبها جنوب. فقال: كيف ترون؟ أترون أجيز شهادة مثل هذا؟ قال: وقد ذكر مثل هذه الحكاية ابن قتيبة.

وعن أبي أحمد الحارثي قال: كنت أعاشر بعض كُتَّاب الديلم فسمعته مرة يحلف ويقول «والله الذي لا إله إلا هو أعني به الطلاق والعتاق.»

قال: وكتب مرة بحضرتي تذكرة بأضاحي يريد تفريقها في دار صاحبه وقد قرب عيد الأضحى فكتب: القائد ثور، امرأته بقرة، ابنه كبش، ابنته نعجة، الكاتب تيس. فقلت: يا سيدي الروح الأمين ألقى إليك هذا؟ فلم يدر ما خاطبته به وسلمت منه.

وكتب إلى صديق له: كتبت إليك هذه الكلمات يا سيدي وربي؛ أعني به قميصي من منزلك الذي أنا أسكنه، وقد نفضت الدَّمَ من قفاك المرسوم

بي، وليس وحق رأسك الذي أحبه عندي من نبيذك الذي تشربه شيء، فوجِّه إليَّ على يدي هذا الرسول فإنه ثقة أوثق مني ومنك.

قال أبو أحمد: وبلغني عن بعض قُوَّاد الديلم أنه قال: كاتبي أحذق الناس بأمر الدواب والضياع وشري الأمتعة، وما فيه عيب إلا أنه لا يقرأ ولا يكتب.

وعن عبد الله بن إبراهيم الموصلي قال: نابت الحجاج في صديق له مصيبة ورسول لعبد الملك شامي عنده، فقال الحجاج: ليت إنسانًا يعزيني بأبيات. فقال الشامي: أقول؟ قال: قل. فقال: «وكل خليل سوف يفارق خليله، بموت أو يصاب أو يقع من فوق البيت أو يقع البيت عليه أو يقع في بئر أو يكون شيئًا لا نعرفه.» فقال الحجاج: قد سليتني عن مصيبتي بأعظم منها في أمير المؤمنين؛ إذ وجَّه مثلك رسولًا.

وُجِدَ في بعض الكتب أن قدامة بن زيد وجَّه غلامًا له إلى «قطربل» ليبتاع له شرابًا وأركبه حمارًا، فمضى الغلام وابتاع له الشراب فلما صار إلى باب قطربل عارضه صاحب المصلحة فضربه وأراق ما معه وحبسه، فاتصل الأمر بقدامة فكتب إلى صاحب الخبر: بسم الله الرحمن الرحيم، جُعِلْتُ فداك برحمته، فإن صاحب مصلحتين قطربل قويًا على غلام لي فضرباه خمسين رطلًا من تقطيع الزكرة فرأيك أعزَّك الله في إطلاق الحمار مصابًا إن شاء الله عز وجل.

وكتب بعضهم إلى طبيب: بسم الله الرحمن الرحيم، ويلك يا يوحنا وأمتع بك، قد شربت الدواء خمسين مقعدًا، المغص والتقطيع يفتل بطني

والعينين والرأس، فلا تؤخر باحتباسك عني فسوف تعلم أني سأموت وتبقى بلا أنا، فعلت موفقًا إن شاء الله.

وصف حجاج بن هارون الكاتب لحنين النصراني علة به، فأمره أن يؤخر غدائه ويأخذ في آخر الليل دواءً وصفه له، فكتب إليه حجاج من غدٍ: بسم الله الرحمن الرحيم وأتم نعمته عليك، شربت الدواء وأكلت قليل كسرة واختلف أحمر مثل السلق مغصًا، فرأيك في إنكار ذلك على بطني فعلت إن شاء الله.

وكتب بعضهم إلى صديق له: بسم الله الرحمن الرحيم وجعلني الله فداءك، لولا علة نسيتها لسرت إليك حتى أعرفك بنفسي والسلام.

وكتب المتوكل إلى محمد بن عبد الله يطلب فهدًا، فكتب إليه: نجوت عند مقام لا إله إلا الله وصلى الله على سيدنا محمد فديته إن كان عندي مما طلبته وزن دانق لا فهد ولا نمر، فلا تظن يا سيدي أني أبخل عليك بالقليل.

وكتب معاوية بن مروان إلى الوليد بن عبد الملك: قد بعث إليك خزًّا أحمر وأحمى.

وكتب رجل من البصرة إلى أبيه: كتبت إليك يا أبتِ نحن كما يسرك الله عونه وقوته، لم يحدث علينا بعدك إلا كل خير، إلا أن حائطًا لنا وقع على أمي وأخي الصغير وأختي الجارية والحمار والديك والشاة ولم يُفلِت غيري.

وكتب أبو كعب إلى منزله كتابًا عنوانه: من أبي كعب يدفع عنوانه في

عياله إن شاء الله.

وكتب بعض ولد الملوك إلى بعض: استوهب الله المكارِهَ فيك برحمته، أنا وحَقِّ جدي رسول الله الذي لا إله إلا هو أحبك أشد من جدي المتوكل، فقد بلغني أنه قد جاءك من النبيذ شيء كثير كثير شطرًا وأنا أحبه شديد شديد شطرًا آخر، وبحياتي عليك إلا بعثت إليَّ دستجة أو خمس دبات أو ستة أو سبعة أو أكثر جياد بالغة، وإلا فثلاث خماسيات ولا تردني فأحرد موفقًا إن شاء الله.

الباب الخامس عشر

في ذكر المغفلين من المؤذِّنين

عن أبي بكر النقاش قال: حدثنا أن أعرابيًّا سمع مؤذنًا كان يقول: أشهد أن محمدًا رسول الله. بالنصب فقال: ويحك! فعل ماذا؟

وعن مُحَمَّد بن خلف قال: قيل لمؤذن ما يُسمع أذانك فلو رفعت صوتك! فقال: إني لأسمع صوتي من ميل.

وقال بعضهم: رأيت مؤذنًا يؤذِّن، ثم عدا فقلت: إلى أين؟ فقال: أحب أعرف إلى أين يبلغ صوتي.

وأذَّن مؤذن فقيل له: ما أحسن صوتك؟ فقال: إن أمي كانت تطعمني البلادة وأنا صغير. يريد البلادر.

وعن شريح بن يزيد قال: كان سعيد بن سنان المهدي مؤذِّنًا بجامع حمص، وكان شيخًا صالحًا يُسَحِّرُ الناس في رمضان فيقول في تسحيره: استحثوا قديراتكم، عجِّلوا في أكلكم قبل أن أؤذِّن فيسخم الله وجوهكم وتحردوا.

الباب السادس عشر

في ذكر المغفلين من الأئمة

عن أبي العيناء قال: كان المدني في الصف من وراء الإمام، فذكر الإمام شيئًا فقطع الصلاة وقدَّم المدني ليؤمَّهم، فوقف طويلًا فلما أعيا الناس سبَّحوا له وهو لا يتحرك، فنَحَّوْه وقدَّموا غيره فعاتبوه فقال: ظننته يقول لي احفظ مكاني حتى أجيء.

وعن مُحَمَّد بن خلف قال: مَرَّ رجل بإمام يصلي بقوم فقرأ: «الم غلبت الترك.»، فلما فرغ قلت: يا هذا إنما هو (غُلِبَتِ الرُّومُ)، فقال: كلهم أعداء لا نبالي من ذكر منهم.

وعن مندل بن علي قال: خرج الأعمش ذات يوم من منزله بسَحَر، فمَرَّ بمسجد بني أسد وقد أقام المؤذِّن الصلاة فدخل يصلي فافتتح الإمام الركعة الأولى بالبقرة، ثم في الركعة الثانية آل عمران، فلما انصرف قال له الأعمش: أما تتقي الله، أما سمعت حديث رسول الله ﷺ: «من أم الناس فليخفف، فإن خلفه الكبير والضعيف وذا الحاجة»؟ فقال الإمام: قال الله عز وجل: (وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) فقال الأعمش: أنا رسول الخاشعين إليك بأنك ثقيل.

وعن المدائني قال: قرأ إمام «ولا الظالين» بالظاء المعجمة، فرفسه

رجل من خلفه فقال الإمام: آه ضهري. فقال له رجل: يا كذا وكذا خذ الضاد من ضهرك واجعلها في الظالين وأنت في عافية. وكان الراد عليه طويل اللحية.

قال الجاحظ: أخبرني أبو العنبس قال: كان رجل طويل اللحية أحمق جارنا، وكان أقام بمسجد المحلة يعمره ويؤذِّن فيه ويصلي، وكان يعتمد السُّوَرَ الطِّوال ويصلي بها، فصلى ليلة بهم العشاء فطوَّل فضجوا منه وقالوا: اعتزل مسجدنا حتى نقيم غيرك، فإنك تطوِّل في صلاتك وخلفك الضعيف وذو الحاجة. فقال: لا أطول بعد ذلك فتركوه، فلما كان من الغد أقام وتقدَّم فكبر وقرأ «الحمد»، ثم فكَّر طويلًا وصاح فيهم: إيش تقولون في عبس؟ فلم يكلمه أحد إلا شيخ أطول لحية منه وأقل عقلًا، فإنه قال: كَيِّسَة مر فيها.

وقرأ إمام في صلاته: وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه خمسين ليلة. فجذبه رجل وقال: ما تحسن تقرأ، ما تحسن تحسب؟

وتقدم إمام فصلى فلما قرأ «الحمد» افتتح بسورة يوسف فانصرف القوم وتركوه، فلما أحسَّ بانصرافهم قال: سبحان الله! (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) فرجعوا فصلُّوا معه.

وقرأ إمام في صلاته: (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) فلما بلغ قوله: (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ) أُرْتِجَ عليه وجعل يردد حتى كادت تطلع الشمس، وكان خلفه رجل معه جراب فضرب به رأس الإمام وقال: أما أنا فأذهب وهؤلاء لا أدري إلى أين يذهبون.

الباب السابع عشر

في ذكر المغفلين من الأعراب

عن أبي عثمان المازني أنه قال: قدم أعرابي على بعض أقاربه بالبصرة فدفعوا له ثوبًا ليقطع منه قميصًا، فدفع الثوب إلى الخياط فقدر عليه، ثم خرق منه، قال: لِمَ خرقت ثوبي؟ قال: لا يجوز خياطته إلا بتخريقه. وكان مع الأعرابي هراوة من أرزن فشج بها الخياط فرمى بالثوب وهرب فتبعه الأعرابي وأنشد يقول:

مَـا إِنْ رَأَيْـتُ وَلَا سَمِعْـتُ بِمِثْلِـهِ ... فِيمَـا مَضَـى مِـنْ سَـالِفِ الْأَحْقَـابِ

مِـنْ فِعْـلِ عِلْـجٍ جِئْتُـهُ لِيَخِـيطَ لِي ... ثَـوْبًا فَخَرَّقَـهُ كَفِعْـلِ مُصَـابِ

فَعَلَوْتُـهُ بِهِـرَاوَةٍ كَانَـتْ مَعِـي ... فَسَـعَى وَأَدْبَـرَ هَـارِبًا لِلْبَـابِ

أَيَشُـقُّ ثَـوْبِي، ثُمَّ يَقْعُـدُ آمِنًـا ... كَـلَّا وَمُنْـزِلِ سُـورَةِ الْأَحْـزَابِ

وعن الأصمعي أنه قال: مررت بأعرابي يصلي بالناس فصليت معه، فقرأ: «والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها كلمة بلغت منتهاها لن يدخل النار ولن يراها رجل نهى النفس عن هواها.» فقلت له: ليس هذا من كتاب الله. قال: فعلمني. فعلمته الفاتحة والإخلاص، ثم مررت بعد أيام فإذا هو يقرأ الفاتحة وحدها، فقلت له: ما للسورة الأخرى؟ قال: وهبتها لابن عم لي والكريم لا يرجع في هبته.

وعنه أنه قال: كنت في البادية فإذا بأعرابي تقدم فقال: الله أكبر «سبح اسم ربك الأعلى الذي أخرج المرعى أخرج منها تيسًا أحوى ينزو على المعزى.» ثم قام في الثانية فقال: «وثب الذئب على الشاة الوسطى وسوف يأخذها تارة أخرى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ألا بلى ألا بلى.» فلما فرغ قال: اللهم لك عفَّرت جبيني وإليك مددت يميني فانظر ماذا تعطيني.

وعنه قال: رأيت أعرابيًّا يضرب أمه فقلت: يا هذا أتضرب أمك؟ فقال: اسكت فإني أريد أن تنشأ على أدبي.

وعنه أنه قال: حج أعرابي فدخل مكة قبل الناس وتعلق بأستار الكعبة وقال: اللهم اغفر لي قبل أن يدهمك الناس.

وعن أبي الزناد قال: جاء أعرابي إلى المدينة فجالَس أهل الفقه، ثم تركهم، ثم جالس أصحاب النحو، فسمعهم يقولون نكرة ومعرفة فقال: يا أعداء الله يا زنادقة.

وعن العلاء بن سعيد قال: قعد طائي وطائية في الشمس فقالت له امرأته: والله لئن ترحَّل الحي غدًا لأتبعن قماشهم وأصوافهم، ثم لأنفشنه ولأغسلنه ولأغزلنه، ثم لأبعثنه إلى بعض الأمصار فيُباع وأشتري بثمنه بكرًا فأرتحل عليه مع الحي إذا ترحلوا. قال الزوج: أفتراك الآن تاركتني وابني بالعراء؟ قالت: أي والله. قال: كلا واللهِ. وما زال الكلام بينهما حتى قام يضربها فأقبلت أمها فقالت: ما شأنكم؟ وصرخت: يا آل فلانة، أفتضرب ابنتي على كد يديها ورزق رزقها الله. فاجتمع الحي فقالوا: ما شأنكم؟

فأخبروهم بالخبر! فقالوا: ويلكم، القوم لم يرحلوا وقد تعجلتم الخصومة.

وعن الأصمعي قال: خرج قوم من قريش إلى أرضهم وخرج معهم رجل من بني غِفَار، فأصابهم ريح عاصف يئسوا معها من الحياة، ثم سَلِموا فأعتق كل رجل منهم مملوكًا، فقال ذلك الأعرابي: اللهم لا مملوك لي أُعتِقه ولكن امرأتي طالق لوجهك ثلاثًا.

وكان رجل من الأعراب يعمل في معمل الذهب فلم يصب شيئًا فأنشأ يقول:

يا رب قـــــــدر لي في هماســــــــي وفي طـــــلاب الـــــرزق بالتمــــــاس

صفراء تجلو كسل النعاس

فضربته عقرب صفراء سهرته طول الليلة وجعل يقول: يا رب الذنب لي إذا لم أبين لك ما أريده، اللهم لك الحمد والشكر. فقيل له: ما تصنع أما سمعت قول الله تعالى: (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ)؟ فوثب جزعًا وقال: لا شكرًا لا شكرًا.

وسُئل أعرابي: هل تقرأ من القرآن شيئًا؟ فقرأ أم الكتاب والإخلاص فأجاد، فسُئِلَ: هل تقرأ شيئًا غيرهما؟ فقال: أما شيئًا أرضاه لك فلا.

قال الأصمعي: ورأيت أعرابيًّا يصلي في الشتاء قاعدًا ويقول:

إِلَيْــكَ اعْتِــذَارِي مِــنْ صَــلَاتِي قَاعِـدًا عَلَــى غَــيْرِ طُهْــرٍ مُومِيًــا نَحْــوَ قِبْلَــتِي

فَمَـــا لِي بِبَـــرْدِ الْمَـــاءِ يَا رَبِّ طَاقَـــةٌ وَرِجْــلَايَ لَا تَقْــوَى عَلَــى طَــيِّ رُكْبَــتِي

وَلَكِنَّـــنِي أَقْضِــــيهِ يَا رَبِّ جَاهِــــدًا وَأَقْضِـيكَهُ إِنْ عِشْـتُ فِي وَجْـهِ صَـيْفَتِي

وَإِنْ أَنَا لَمْ أَفْعَــــلْ فَأَنْــــتَ مُحَكَّـــمٌ إِلَهِــيَ فِي صَــفْعِي وَفِي نَتْــفِ لِحْيَــتِي

وعض ثعلب أعرابيًّا فأتى راقيًا فقال الراقي: ما عضك؟ فقال: كلب. واستحى أن يقول ثعلب، فلما ابتدأ بالرقية قال: واخلط بها شيئًا من رقية الثعالب.

وقال بعض الأعراب: لنا تمر تضع التمرة في فيك فتبلغ حلاوتها إلى كعبك.

وقرأ إمام في صلاته: إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فأُرتِج عليه وكان خلفه أعرابي فقال: لم يذهب نوح فأرسل غيره وأرحنا.

وكان أعرابي يقول: اللهم اغفر لي وحدي. فقيل له: لو عمَّمت بدعائك فإن الله واسع المغفرة. فقال: أكره أن أثقل على ربي.

ودعا أعرابي بمكة لأمه فقيل له: ما بال أبيك؟ قال: ذاك رجل يحتال لنفسه.

وقيل إن محمد بن علي عليه السلام رأى في الطواف أعرابيًّا عليه ثياب رثَّة وهو شاخص نحو الكعبة لا يصنع شيئًا، ثم دنا من الأستار فتعلق بها ورفع رأسه إلى السماء وأنشأ يقول:

أَمَـا تَسْـتَحِي مِـنِّي وَقَـدْ قُمْـتُ شَاخِصًـا أُنَاجِيــــكَ يَا رَبِّي وَأَنْـــتَ عَلِـــيمُ

فَـــإِنْ تَكْسُــنِي يَا رَبِّ خُفًّــا وَفَــرْوَةً أُصَــلِّي صَــلَاتِي دَائِمًــا وَأَصُـــومُ

وَإِنْ تَكُـنِ الْأُخْـرَى عَلَـى حَـالِ مَـا أَرَى فَمَــنْ ذَا عَلَــى تَــرْكِ الصَّــلَاةِ يَلُــومُ

أَتَــرْزُقُ أَوْلَادَ الْعُلُــوجِ وَقَــدْ طَغَــوْا وَتَتْــرُكُ شَــيْخًا وَالِــدَاهُ تَمِــيمُ

فدعا به وخلع عليه فروة وعمامة وأعطاه عشرة آلاف درهم وحمله على فرس، فلما كان العام الثاني جاء الحج وعليه كسوة جميلة وحال مستقيم فقال له أعرابي: رأيتك في العام الماضي بأسوأ حال وأراك الآن ذا بزة حسنة وجمال! فقال: إني عاتبت كريمًا فأُغنِيت.

وكان لبعض المغفلين حمار فمرض الحمار فنذر إن عوفي حماره صام عشرة أيام، فعوفي الحمار فصام فلما تمت مات الحمار فقال: يا رب تلهيت بي! ولكن رمضان إلى هنا يجيء، والله لآخذن من نقاوته عشرة أيام لا أصومها.

وصلى بعض الأعراب خلف بعض الأئمة في الصف الأول، وكان اسم الأعرابي «مجرمًا» فقرأ الإمام: (وَالْمُرْسَلَاتِ ...) إلى قوله: (أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ) فتأخر البدوي إلى الصف الآخر فقال: (ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ) فرجع إلى الصف الأوسط فقال: (كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ)، فولى هاربًا وهو يقول: ما أرى المطلوب غيري.

وصلى أعرابي خلف إمام صلاة الغداة فقرأ الإمام سورة البقرة، وكان الأعرابي مستعجلًا ففاته مقصوده فلما كان من الغد بكَّر إلى المسجد فابتدأ الإمام بسورة الفيل، فقطع الأعرابي الصلاة وولَّى وهو يقول: أمس قرأت «البقرة» فلم تفرغ منها إلى نصف النهار واليوم تقرأ «الفيل» ما أظنك تفرغ منها إلى نصف الليل.

وكان أعرابي يصلي، فأخذ قوم يمدحونه ويصفونه بالصلاح فقطع صلاته وقال: مع هذا إني صائم!

وتذاكر قوم قيام الليل وعندهم أعرابي فقالوا له: أتقوم بالليل؟ قال: أي والله. قالوا: فما تصنع؟ قال: أبول وأرجع أنام.

وقال إسحاق الموصلي: تذاكر قوم من نزار واليمن أصنام الجاهلية فقال رجل لهم من الأزد: عندي الحجر الذي كان قومنا يعبدونه قالوا: وما ترجو به؟ قال: لا أدري ما يكون.

وروى أبو عمر الزاهد أن بعض الأعراب قال: اللهم أمتني ميتة أبي. قالوا: وكيف مات أبوك؟ قال: أكل بذجًا وشرب مشعلًا ونام في الشمس فلقي الله وهو شبعان رَيان دفئان. البذج الحمل والمشعل الزق.

الباب الثامن عشر

المغفلين من المتحذلقين

فيمن قصد الفصاحة والإعراب في كلامه من المغفلين

عن أبي زيد الأنصاري قال: كنت ببغداد فأردت الانحدار إلى البصرة فقلت لابن أخي: اكترِ لنا. فجعل ينادي: يا معشر الملاحون. فقلت: ويحك! ما تقول جعلت فداك؟ فقال: أنا مولع بالنصب.

عن أبي طاهر قال: دخل أبو صفوان الحمام وفيه رجل مع ابنه، فأراد أن يعرف خالدًا ما عنده من البيان. فقال: يا بني ابدأ بيداك ورجلاك. ثم التفت إلى خالد فقال: يا أبا صفوان هذا كلام قد ذهب أهله. فقال: هذا كلام لم يخلق الله له أهلًا قط. [١]

وعن أبي العيناء عن العطوي الشاعر أنه دخل إلى رجل عندنا بالبصرة وهو يَجُودُ بنفسه فقال له: يا فلان قل «لا إله إلا اللهُ» وإن شئت فقل «لا إله إلا اللهَ» [٢] والأولى أحب إلى سيبويه، ثم أتبع أبو العيناء ذاك بأن قال: سمعتم ابن الفاعلة يعرض أقوال النحويين على رجل يموت.

وعن عبد الله بن صالح العجلي قال: أخبرني أبو زيد النحوي قال: قال رجل للحسن: ما تقول في رجل ترك أبيه وأخيه؟ فقال الحسن: ترك أباه وأخاه. فقال الرجل: فما لأباه وأخاه؟ فقال الحسن: فما لأبيه وأخيه.

فقال الرجل للحسن أراني كلما كلمتك خالفتني.

وعن ابن أخي شعيب بن حرب قال: سمعت ابن أخي عمير الكاتب يقول وهو يعزي قومًا: آجركم لله وإن شئتم أجركم الله، كلاهما سماعي من الفراء.

وعن سلمة قال: كان عند المهدي مؤدِّب يؤدِّب الرشيد فدعاه يومًا المهدي وهو يستاك فقال: كيف تأمر من السواك؟ قال: استك يا أمير المؤمنين. فقال المهدي: إنا لله. ثم قال: التمسوا من هو أفهم من هذا. قالوا: رجل يقال له علي بن حمزة الكسائي من أهل الكوفة قدم من البادية قريبًا. فلما قدم على الرشيد قال له: يا علي. قال: لبيك يا أمير المؤمنين. قال: كيف تأمر من السواك؟ قال: سك يا أمير المؤمنين؟ قال: أحسنت وأصبت. وأمر له بعشرة آلاف درهم.

وقد روينا عن الوليد أنه قال لرجل: ما شأنك؟ فقال الرجل: شيخ نايفي. فقال عمر بن عبد العزيز: إن أمير المؤمنين يقول لك: ما شأنك؟ فقال: ختني ظلمني. فقال الوليد: ومن ختنك؟ فنكس الأعرابي رأسه وقال: ما سؤال أمير المؤمنين عن هذا؟ فقال عمر: إنما أراد أمير المؤمنين من ختنك؟ فقال: هذا. وأشار إلى رجل معه.

وعن أبي معمر عن أبيه قال: كان أمير على الكوفة من بني هاشم، وكان لحانًا فاشترى دورًا من جيرانه ليزيدها في داره، فاجتمع إليه جيرانه فقالوا: أصلحك الله هذا الشتاء قد هجم علينا فأمهلنا إن رأيت حتى يقبل الصيف ونتحول. قال: لسنا «بخارجيكم» يريد «بمخرجيكم».

وعن ميمون بن هارون قال: قال رجل لصديق له: ما فعل فلان بحماره؟ قال: «باعِهِ» قال: قل «باعَهُ». قال: فلِمَ قلت بحماره؟ قال: الباء تجر. قال: فمن جعل باءك تجر وبائي ترفع؟

وعن سعيد بن أحمد قال: دعاني مُحَمَّد بن أحمد بن الخصيب يومًا، فأقمنا عنده فقال لابنٍ له صغير: يا عبد الله اخدم عماك. فقال: أخدم عميَّ. قالوا: يقول لك اخدم عمك وتلحن؟ فقلت له: جعلت فداك أنت أعلم الناس بالنحو فمن أفسد بيان هذا الصبي؟ قال: من قبل أمه.

وعن أبي عبد الله أحمد بن أبي فتن قال: دعاني إنسان من جيراننا فوجَّه إلى البقال: وجه إليَّ جزرًا بدانقان. فقلت: سبحان الله ما هذا؟ قال: أردت أن يهابني.

وقدم على ابن علقمة النحوي ابن أخ له فقال له: ما فعل أبوك؟ قال: مات. قال: وما فعلت علته؟ قال: ورِمت قدميه. قال: قل قدماه. قال: فارتفع الورم إلى ركبتاه. قال: قل ركبتيه. فقال: دعني يا عم فما موت أبي بأشد عليَّ من نحوك هذا.

ووقف نحوي على رجل فقال: كم لي من هذا الباذنجان بقيراط؟ فقال: خمسين. فقال النحوي: قل خمسون. ثم قال: لي أكثر؟ فقال: ستين. قال: قل ستون. ثم قال: لي أكثر؟ فقال: إنما تدور على مئون وليس لك مئون.

ولقي رجلًا من أهل الأدب وأراد أن يسأله عن أخيه وخاف أن يلحن فقال: أخاك أخوك أخيك ها هنا؟ فقال الرجل: لا لي لو ما هو حاضر.

وسمعت شيخنا أبا بكر مُحَمَّد بن عبد الباقي البزار يقول: قال رجل

لرجل: قد عرفت النحو إلا إني لا أعرف هذا الذي يقولون: أبو فلان وأبا فلان وأبي فلان. فقال له: هذا أسهل الأشياء في النحو، إنما يقولون أبا فلان لمن عظم قدره وأبو فلان للمتوسطين وأبي فلان للرذلة.

وعن الأصمعي عن عيسى بن عمر قال: كان عندنا رجل لحَّان فلقي رجلًا مثله فقال: من أين جئت؟ فقال: من عند «أهلونا». فتعجب منه وحسده وقال: أنا أعلم من أين أخذتها؛ أخذتها من قوله تعالى: (شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا).

وعن أبي القاسم الحسن قال: كتب بعض الناس كتبت من «طيس». يريد «طوس» فقيل له في ذلك فقال: لأن «من» تخفض ما بعدها. فقيل: إنما تخفض حرفًا واحدًا لا بلدًا له خمسمائة قرية.

قال أبو الفضل بن المهدي: قال لي أبو محمد الأزدي: واظب على العلم فإنه يزين الرجال، كنت يومًا في حلقة أبي سعيد – يعني السيرافي – فجاء ابن عبد الملك خطيب جامع المنصور وعليه السواد والطويلة والسيف والمنطقة، فقام الناس إليه وأَجَلُّوه فلما جلس قال: لقد عرفت قطعة من هذا العلم وأريد أن أستزيد منه فأيهما خير سيبويه أو الفصيح؟ فضحك الشيخ ومن في حلقته، ثم قال: يا سيدنا «محبرة» اسم أو فعل أو حرف؟ فسكت، ثم قال: حرف. فلما قام لم يقم له أحد.

فصل: وقد تكلم قوم من النحويين بالإعراب مع العوام، فكان ذلك من جنس التغفيل وإن كان صوابًا؛ لأنه لا ينبغي أن يُكَلَّمَ كل قوم إلا بما يفهمون.

قال ابن عقيل: كان شيخنا أبو القاسم بن برهان الأسدي يقول لأصحابه: إياكم والنحو بين العامة، فإنه كاللحن بين الخاصة. قال ابن عقيل: وتعليل هذا أن التحقيق بين المحرّفين ضائع وتضييع العلم لا يحل. ولهذا روي: «حدثوا الناس بما يعقلون أتحبون أن يكذب على الله ورسوله.» وقد قال رسول الله ﷺ: «يا أبا عمير ما فعل النغير.» ولعب مع الحسن والحسين. وإنما نُسِبَ المعلمون للحماقة لمعاملتهم الصبيان بالتحقيق.

قال الأصمعي: كان يحيى بن معمر قاضيًا بخراسان فتقدم إليه رجل وامرأته، فقال يحيى للرجل: رأيت إن سألتك حق شكرها وشبرك إن شاءت تطلها وتضهلها. قال: يقول الرجل لامرأته: واللهِ ما أدري ما يقول قومي حتى ننصرف.

الشكر: الفَرْج، والشبر: النكاح، وتطلها: تبطل حقها، وتضهلها: تعطيها حقها قليلًا قليلًا.

وكذلك قال عيسى بن عمر ليوسف بن عمر وهو يضربه بالسياط: والله إن كانت إلا أثيابًا في أسيفاط قبضها عشّاروك. قال ابن قتيبة: ومثل هذا كان يُستقبح والأدب غض فكيف اليوم؟

وقع نحوي في كنيف فصاح به الكناس: أنت في الحياة! قال: ابغ لي سلمًا وثيقًا وأمسكه إمساكًا رفيقًا ولا بأس عليَّ. فقال له: لو كنت تركت الفضول يومًا لتركته الساعة وأنت في الخرا إلى الحلق.

وقف نحوي على صاحب بطيخ فقال: بكم تلك وذانك الفاردة؟ فنظر يمينًا وشمالًا، ثم قال: اعذرني فما عندي شيء يصلح للصفع.

وقف نحوي على زجاج فقال: بكم هاتان القنينتان اللتان فيهما نكتتان خضراوتان؟ فقال الزَّجَّاج: (مُدْهَامَّتَانِ* فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ).

وعن أبي زيد النحوي قال: وقفت على قصَّاب وعنده بطون فقلت: بكم البطنان؟ فقال: بدرهمان يا ثقيلان.

وعن أحمد بن مُحَّد الجوهري قال: سمعت أبا زيد النحوي، قال: وقفت على قصَّاب وقد أخرج بطنين سمينين فعلَّقهما فقلت: بكم البطنان؟ فقال: بمصفعان يا مُضرِطان. ففررت لئلَّا يسمع الناس فيضحكون.

قالحدثنا أبو حمزة المؤدب قال: حدثنا أحمد بن مُحَّد القزويني وكان شاعرًا أنه دخل سوق النخاسين بالكوفة فقعد إلى نخاس فقال: يا نخاس اطلب لي حمارًا لا بالصغير المحتقر ولا بالكبير المشتهر، إن أقللت علفه صبر وإن أكثرت علفه شكر، لا يدخل تحت البواري ولا يزاحم بي السواري، إذا خلا في الطريق تدفَّق وإذا كثر الزحام ترفَّق. فقال له النخاس بعد أن نظر إليه ساعة: دعني إذا مسخ الله القاضي حمارًا اشتريته لك.

حدثنا بعض أصحابنا قال: قلت لبقال: عندك بسر فرسًا؟ قال: عندي قرعة.

وعن إسحاق بن مُحَّد الكوفي قال: جاء أبو علقمة إلى عمر الطبيب فقال: أكلت دعلجًا فأصابني في بطني سجح. فقال: خذ غلوص وخلوص. فقال أبو علقمة: وما هذا؟ قال وما الذي قلت أنت؟ كلمني بما أفهم. قال: أكلت زبدًا في سكرجة(٣) فأصابني نفخ في بطني. فقال: خذ صعترًا.

ودخل أبو علقمة النحوي على أعين الطبيب فقال: أمتع الله بك إني

أكلت من لحوم هذه الجوازم فطسئت طسأة،[٤] فأصابني وجع من الوالبة إلى ذات العنق فلم يزل يربو وينمو حتى خالط الحلب والشراسيف، فهل عندك دواء؟ قال: نعم، خذ حرقفًا وسلقفًا وسرقفًا فزهرقه وزقزقه واغسله بماء روث واشربه. فقال أبو علقمة: لم أفهم عنك هذا. فقال: أفهمتك كما أفهمتني.

قال: حدثنا أبو عثمان عن أبي حمزة المؤدب قال: دخل أبو علقمة النحوي سوق الجرَّارين بالكوفة فوقف على جرَّار فقال: أجد عندك جرة لا قفداء ولا دبَّاء ولا مطربلة الجوانب، ولتكن نجوية خضراء نضراء قد خف محملها وأتعبت صانعها قد مستها النار بألسنتها، إن نقرتها طنت وإن أصابتها الريح رنت؟ فرفع الجرَّار رأسه إليه، ثم قال له: النطس بكور الجروان أحر وجكى والدقس باني والطبر لري شك لك بك. ثم صاح الجرَّار: يا غلام شرج ثم درب وإلى الوالي فقرب، يا أيها الناس من بلي بمثل ما نحن فيه؟ وأنشد لثعلب:

إنْ شِئْتَ أَنْ تُصْبِحَ بَيْنَ الْوَرَى ... مَا بَيْنَ شَتَّامٍ وَمُغْتَابِ

فَكُنْ عَبُوسًا حِينَ تَلْقَاهُمُ ... وَكَلِّمِ النَّاسَ بِإِعْرَابِ

---

(١) والنكتة هنا أنه رفع يداك ورجلاك بالألف وحقهما الجر.

(٢) الأولى بالضم والثانية بالفتح.

(٣) السكرجة: إناء صغير تقول لها العامة سكرية.

(٤) طسئ أي أتخم وأكل فوق طاقته.

الباب التاسع عشر

في ذكر من قال شعرًا من المغفلين

عن المبرد قال: قال الجاحظ: أنشدني بعض الحمقى:

إِنَّ دَاءَ الْحُــــــــبِّ سُـــــــــقْمٌ   لَـــــــيْسَ يَهْنِيــــــهِ الْقَــــــرَارُ

وَنَجَــــا مَــــنْ كَـــانَ لَا يَعْـــــ   ــــشَقُ مِــــنْ تِلْـــكَ الْمَخَـــازِي

فقلت: إن القافية الأولى راء والثانية زاي؟ فقال: لا تنقط شيئًا. فقلت: إن الأولى مرفوعة والثانية مكسورة. فقال: أنا لا أقول لا تنقط وهو يشكل!

وحكى بعضهم قال: اجتمعنا ثلاثة نفر من الشعراء في قرية تسمى طهياثا فشربنا يومنا، ثم قلنا: ليقل كل واحد بيت شعر في وصف يومنا فقلت:

نلنا لذيذ العيش في طهياثا

فقال الثاني:

لما احتثثنا القدح احتثاثا

فارتج على الثالث فقال:

امرأته طالق ثلاثا

ثم قعد يبكي على امرأته ونحن نضحك عليه.

عن أبي الحسن علي بن منصور الحلبي قال: كنت أحضر مجلس سيف الدولة فحضرته وقد انصرف من غزو عدوٍّ له ظفر به، فدخل الشعراء ليهنّئوه فدخل رجل وأنشد:

وَكَانُوا كَفَأْرٍ وَسْوَسُوا خَلْفَ حَائِطٍ وَكُنْتُ كَسَنُّورٍ عَلَيْهِمْ تَسَلَّقَا

فأمر سيف الدولة بإخراجه، فقام على الباب يبكي فأُخبِر سيف الدولة ببكائه فأمر برده فقال: ما لك تبكي؟ فقال: «قصدت مولانا بكل ما أقدر عليه، فلما خاب أملي وقابلني بالهوان ذلت نفسي فبكيت.» فقال له سيف الدولة: ويلك! من يكون له مثل هذا النثر يكون له ذلك النظم! فكم أمَّلت؟ قال: خمسمائة درهم. فأمر له بألف درهم.

عن الصولي قال: كان لمحمد بن الحسن ابنٌ فقال له: إني قد قلت شعرًا. قال: أنشدنيه. قال: فإن أجدتُ تهب لي جارية أو غلامًا؟ قال: أجمعهما لك. فأنشد:

إِنَّ الدِّيَارَ طُيَّفَا هَيَّجْنَ حُزْنًا قَدْ عَفَا

أَبْكَيْنَنِي لِشَقَاوَتِي وَجَعَلْنَ رَأْسِي كَالْقَفَا

فقال: يا بني والله ما تستاهل جارية ولا غلامًا، ولكن أمك مني طالق ثلاثًا إذ ولدت مثلك.

قال أبو سجادة الفقيه في شعر له:

وَمِنَّا الْوَزِيرُ وَمِنَّا الْأَمِيرُ وَمِنَّا الْمُشِيرُ وَمِنَّا أَنَا

وقد وقع شيء يشبه التغفيل من فطناء الشعراء، قال: فإن البحتري دخل على بعض من يمدحه فأنشده:

لَكَ الْوَيْلُ مِنْ لَيْلٍ تَطَاوَلَ آخِرُهْ

فقال الممدوح: لك الويل والحرب!

ومدح رجل معن بن زائدة فقال:

أَتَيْتُـــكَ إِذْ لَمْ يَبْـــقَ غَيْـــرَكَ جَـــابِرٌ وَلَا وَاهِـــبٌ يُعْطِـــي اللُّهَـــا وَالرَّغَائِبَـــا

فقال معن: ليس هذا مدحًا، وهلا قلت كما قال أخو بني تيم لمالك بن مسمع:

قَلَّدَتْـــهُ عُـــرَى الْأُمُـــورِ نِـــزَارُ قَبْـــلَ أَنْ تَمْلِـــكَ السَّـــرَاةُ النُّحُـــورَا

الباب العشرون

في ذكر المغفلين من القُصاص

فمنهم «سيفويه» القاص، كان يُضرب به المثل في التغفيل.

عن مُحَمَّد بن العباس بن حيويه قال: قيل لسيفويه: قد أدركت الناس فلِمَ لَمْ تحدث؟ قال: اكتبوا حدثنا شريك عن مغيرة عن إبراهيم بن عبد الله مثله سواء. قالوا له: مثل إيش؟ قال: كذا سمعنا وكذا نحدِّث.

عن ابن خلف قال: جاء يومًا رجل من عرس فسأله سيفويه ما أكل؟ فأقبل يصف له فقال: ليت ما في بطنك في حلقي.

وقال ابن خلف: قال عبد العزيز القاص: ليت أن الله لم يكن خلقني وأني الساعة أعور. فحكيت ذلك لابن غياث فقال: بئس ما قال، وددت واللهِ الذي لا إله إلا هو أن الله لم يكن خلقني وأني الساعة أعمى مقطوع اليدين والرجلين.

وروى أبو العباس بن مشروح قال: كان سيفويه اشترى لمنزله دقيقًا بالغداة وراح عشاء يطلب الطعام فقالوا: لم نخبز؛ لم يكن عندنا حطبًا. قال: كنتم تخبزونه فطيرًا!

وحكى أبو منصور الثعالبي أن رجلًا سأل سيفويه عن الغسلين في كتاب الله تعالى فقال: على الخبير سقطت، سألت عنه شيخًا فقيهًا من

أهل الحجاز فما كان عنده قليل ولا كثير.

وقف سيفويه راكبًا على حمار في المقابر فنفَر حماره عند قبر منها، فقال: ينبغي أن يكون صاحب هذا القبر بيطارًا.

وقرأ سيفويه: «ثم في سلسلة ذرعها تسعون ذراعًا.» فقيل له: قد زدت عشرين! فقال: هذه خلقت لبغاء ووصيف، فأما أنتم فيكفيكم شريط بدانق ونصف.

وقرأ قارئ بين يديه، (كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا) فقال: ماذا لقي القوم واللهِ من أجل صلاتهم بالليل!

وقرأ القارئ (كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ) فقال: هؤلاء خلاف نسائكم الفجار.

قيل لسيفويه إن اشتهى أهل الجنة عصيدة كيف يعملون؟ قال: يبعث الله لهم أنهار دبس ودقيق وأرز ويقال: اعملوا وكلوا واعذرونا.

وعن مُحَمَّد بن خلف قال أبو أحمد التمار في قصصه: لقد عظم رسول الله ﷺ حق الجار حتى قال فيه قولًا أستحي واللهِ أن أذكره.

قال ابن خلف: قصَّ قاص بالمدينة فقال: رأى أبو هريرة على ابنته خاتم ذهب فقال: يا بنية لا تتختمي بالذهب فإنه لهب. فبينا هو يحدثهم إذ بدت كفه فإذا فيها خاتم ذهب فقالوا له: تنهانا عن لبس الذهب وتلبسه! فقال: لم أكن ابنة أبي هريرة.

عن مُحَمَّد بن الجهم أنه قال سمعت الفراء يقول: كان عندنا رجل يفسر

القرآن برأيه فقيل له: (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ) فقال: رجل سوء واللهِ. فقيل: (فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ)، فسكت طويلًا، ثم قال: من هذا عجبت!

وعن عبد الرحمن بن محمد الحنفي قال: قال أبو كعب القاص في قصصه: كان اسم الذئب الذي أكل يوسف كذا وكذا. فقالوا له: فإن يوسف لم يأكله الذئب! قال: فهو اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف.

قال حكاها الجاحظ عن أبي علقمة القاص قال: كان اسم الذئب «حجونا».

عن العلاء بن صالح قال: كان عبد الأعلى بن عمر قاصًّا فقصَّ يومًا، فلما كاد مجلسه ينقضي قال: إن ناسًا يزعمون أني لا أقرأ من القرآن شيئًا وإني لأقرأ منه الكثير بحمد الله، ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) فأرتج عليه فقال: من أحب أن يشهد خاتمة السورة فليحضرنا إلى مجلس فلان.

حكى أبو محمد التميمي أن أبا الحسن السماك الواعظ دخل عليهم يومًا وهم يتكلمون في أبابيل فقال: في أي شيء أنتم؟ فقالوا: نحن في أَلِف أبابيل هل هو ألف وصل أو ألف قطع؟ قال: لا ألف وصل ولا ألف قطع وإنما هو ألف سخط، ألا ترون أنَّه بَلْبَلَ عليهم عيشهم! فضحك القوم من ذلك.

جاء رجل إلى قاص وهو يقرأ: (يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ)، فقال: اللهم اجعلنا ممن يتجرعه ويسيغه.

قال الجاحظ: سمعت قاصًّا أحمق وهو يقص حديث موسى وفرعون، وهو يقول: لما صار فرعون في وسط البحر في الطريق اليابس قال الله للبحر: انطبق.

فما زال حتى علاه الماء فجعل فرعون يضرط مثل الجاموس نعوذ بالله من ذلك الضراط. قال: وسمعت قاصًّا بالكوفة يقول: واللهِ لو أن يهوديًّا مات وهو يحب عليًّا ثم دخل النار ما ضرَّه حرُّها.

قال بعض القصاص: يا معشر الناس، إن الشيطان إذا سُمِّيَ على الطعام والشراب لم يقربه فكلوا خبز الأرز المالح ولا تسموا فيأكل معكم، ثم اشربوا الماء وسموا حتى تقتلوه عطشًا.

كان أبو سالم القاص يقص يومًا قال: يا ابن آدم يا ابن الزانية أما تستحي من الملك الجليل حتى تقدم على العمل القبيح؟!

وسُرِقَ باب أبي سالم القاص فجاء إلى باب المسجد وقلعه، قالوا: ما تصنع؟ قال: أقلع هذا الباب فإن صاحبه يعلم مَن قلع بابي.

سُئِلَ بعض الوُعَّاظِ: لِمَ لَم تنصرف «أشياء»؟ فلم يفهم ما قيل له، ثم سكت ساعة فقال: أنت تسأل سؤال الملحدين؛ لأن الله يقول: (لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ).

قال بعض الأشياخ إنه كتب في رقعة إلى بعض القصاص يسأله الدعاء لامرأة حامل، فقرأ الرقعة، ثم قلبها وفي ظهرها صفة دواء قد كتبه طبيب وفيه قنبيل وخشيزك وأفتيمون ونحو هذا، فظنها كلمات يسأل بها فدعا وجعل يقول: يا رب قنبيل يا رب خشيزك ويا رب أفتيمون ... إلى أن نهى ما ذكر.

الباب الحادي والعشرون

في ذكر المغفلين من المتزهدين

عن علي بن المحسن التنوخي قال: كان عندنا بجبل اللكام رجل يسمى أبو عبد الله المزابلي يدخل البلد بالليل، فيتتبع المزابل فيأخذ ما يجده ويغسله ويقتاته ولا يعرف قوتًا غيره، أو يتوغل في الجبل فيأكل من التمرات المباحات، وكان صالحًا مجتهدًا إلا أنه كان قليل العقل، وكان بأنطاكية موسى الزكوري صاحب المجون وكان له جار يغشى المزابل، فجرى بين موسى الزكوري وجاره شر فشكاه إلى المزابلي فلعنه في دعائه، فكان الناس يقصدونه في كل جمعة فيتكلم عليهم ويدعو، فلما سمعوه يلعن ابن الزكوري جاء الناس إلى داره لقتله فهرب ونُهِبَتْ داره فطلبه العامة فاستتر، فلما طال استتاره قال: إني سأحتال على المزابلي بحيلة أتخلص بها فأعينوني. فقالوا له: ما تريد؟ قال: أعطوني ثوبًا جديدًا وشيئًا من مسك ونارًا وغلمانًا يؤنسوني الليلة في هذا الجبل. قال: فأعطيته ذلك فلما كان نصف الليل صعد فوق الكهف الذي يأوي فيه المزابلي فبخر بالند ونفخ المسك فدخلت الرائحة إلى كهف أبي عبد الله المزابلي، فلما اشتم المزابلي تلك الرائحة وسمع الصوت قال: ما لك عافاك الله ومن أنت؟ قال: أنا جبرائيل أرسلني إليك ربي. فلم يشك المزابلي في صدق القول وأجهش بالبكاء والدعاء، فقال: يا جبرائيل ومن أنا حتى يرسلك الله إليَّ؟ فقال: الرحمن يقرئك السلام ويقول لك موسى الزكوري غدًا رفيقك في

الجنة. فصعق أبو عبد الله فتركه موسى فرجع، فلما كان من الغد كان يوم الجمعة أقبل المزابلي يخبر الناس برسالة جبرائيل ويقول تمسحوا بابن الزكوري واسألوه أن يجعلني في حِلٍّ واطلبوه لي. فأقبل العامة إلى دار ابن الزكوري يطلبونه ويستحلونه.

عن أبي النقاش عن شيخ له قال: كنت في جامع واسط ورجلان يحدثان في حديث جهنم فقال أحدهما: بلغني أن الله عز وجل يعظم خلق الكافر حتى يكون ضرسه مثل أحد، فقال له الآخر: ليس هذا أمره. وإلى جانبهما شيخ متألِّه كثير الصلاة فالتفت إليهما فقال: لا تنكروا هذا، إن الله على كل شيء قدير، وتصديق ما كنتما فيه كتاب الله. قالا: وما ذاك يا عم؟ قال: قوله تعالى: «فأولئك يبدل الله سناهم خشبات.» فهو ما يبدل السن خشبة إلا وهو قادر على أن يجعله مثل أُحُد.

عن الزهري قال: بلغني عن حجاج الشاعر أنه مَرَّ يومًا في درب وفي آخره ميزاب قال: أصابني لم يصبني أصابني. فلما طال عليه ذلك جاء وجلس تحته وقال: استرحت من الشك.

عن أبي علي الطائي قال: قرأ رجل عند بعض المتزهدين وكان مغفلًا: (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ) فقال: دعنا من آيات الفجار.

عن مُحَمَّد المخرمي قال: كنا في مجلس فشممت رائحة أنكرتها، فنظرت فإذا رجل قد وضع في شاربه عذرة فقلت له: ما هذا؟ قال: تواضعًا لربي عز وجل.

قال طاهر بن الحسين للمرزوي: منذ كم دخلت العراق؟ قال: منذ عشرين سنة وإني أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة. قال طاهر: سألتك عن مسألة فأجبتني عن مسألتين.

عن أبي عثمان الجاحظ قال: أخبرني يحيى بن جعفر قال: كان لي جار من أهل فارس، وكان بلحية ما رأيت أطول منها قط وكان طول الليل يبكي، فأنبهني ذات ليلة بكاؤه ونحيبه وهو يشهق ويضرب على رأسه وصدره ويردد آية من كتاب الله تعالى، فلما رأيت ما نزل به قلت: لأسمعنَّ هذه الآية التي قتلت هذا وأذهب نومي فتسمعت عليه فإذا الآية: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى) فعلمت أن طول اللحية لا يخلف.

وعنه قال: أخبرني النَّظَّام قال: مررت بناحية باب الشام، فرأيت شيخًا قاعدًا على باب داره وبين يديه حصى ونوى وهو يسبِّح ويعد بهما ويقول: حسبي الله، حسبي الله. فقلت: يا عم ليس هذا هو التسبيح. قال: كيف هو التسبيح عندك؟ قلت: سبحان الله. قال: يا أحمق، هذا تسبيح تعلمته بعبادان منذ ستين سنة أسبح به فأتركه لقولك يا جاهل!

وقال: رأيت أبا مُحَمَّد السيرافي – وكان طويل اللحية – يدعو ربه وقد رفع يديه إلى السماء وهو يقول: يا منقذ الموتى ومنجي الغرقى وقابل التوبات وراحم العثرات أنت تجد من ترحمه غيري وأنا لا أجد من يعذبني سواك.

وقال: رأيت أبا سعيدي البصري يدعو ربه وكان طويل اللحية أحمق وهو يقول: يا رباه، يا سيداه، يا مولاه، يا جبرائيل، يا إسرافيل، يا

ميكائيل، يا كعب الأحبار، يا أويس القرني، بحق مُحَّد وجرجيس عليك، أرخص أمتك على الدقيق.

عن بشر بن عبد الوهاب قال: كان يجلس إلى عمود في دمشق رجل جميل الهيئة، فرأيته يومًا وقد سجد ويقول في سجوده: سجد لك خضرتي وحمرتي وصفرتي وبياضي وسوادي خاشعًا ضارعًا خاضعًا ماصًّا لبظر أمه، ومن أنا عندك الزاني ابن الزانية حتى لا تغفر له؟

كان لأبي العتاهية تلميذ تصوَّف وتزهَّد وقير إحدى عينيه وقال: النظر إلى الدنيا بعينين إسراف.

قال بعضهم: كان لي عَمٌّ له سبعون سنة فسمعته يقول في دعائه: بمن كان بين مُحَّد وآله من النبيين والمرسلين. فقلت له: يا عم، أسمعك تدعو بهذا الدعاء، فمن كان بين مُحَّد وآله من النبيين والمرسلين؟ فقال: العشرة الذين بايعوه تحت الشجرة.

قال بعض معارفنا: إنه حضر في بعض البلاد عند متزهد، وحضر جماعة يتبركون به، منهم قاضي البلد، فجرى ذكر لوط عليه السلام فقال المتزهد: عليه لعنة الله! فقيل له: ويحك هذا نبي. فقال: ما علمت. ثم التفت إلى القاضي فقال: خذ عليَّ التوبة مما قلت. فتاب، ثم أفاضوا في الحديث فجرى ذكر فرعون فقالوا له: ما تقول فيه؟ فقال: أنا الآن تبتُ فلا أدخل بين الأنبياء.

الباب الثاني والعشرون

في ذكر المغفلين من المعلمين

وهذا شيء قل أن يخطئ ونراه مطَّردًا ولا نظن السبب في ذلك إلا معاشرة الصبيان، وقد بلغني أن بعض المؤدِّبين للمأمون أساء أدبه على المأمون وكان صغيرًا فقال المأمون: ما ظنك بمن يجلو عقولنا بأدبه ويصدأ عقلُه بجهلنا، ويوقرنا بزكانته ونستخفه بطيشنا، ويشحذ أذهاننا بفوائده ويكل ذهنه بغَيِّنَا، فلا يزال يعارض بعلمه جهلنا وبيقظته غفلتنا وبكماله نقصنا، حتى نستغرق محمود خصاله ويستغرق مذموم خصالنا، فإذا برعنا في الاستفادة برع هو في البلادة، وإذا تحلينا بأوفر الآداب تعطل من جميع الأسباب، فنحن الدهرَ ننزع منه آدابه المكتسبة فنستفيدها دونه، ونثبت فيه أخلاقنا الغريزية فينفرد بها دوننا، فهو طول عمره يُكسِبُنَا عقلًا ويكتسب منَّا جهلًا فهو كذبالة السراج ودودة القز.

قال الجاحظ: كان ابن شبرمة لا يقبل شهادة المعلِّمين. وكان بعض الفقهاء يقول: النساء أعدل شهادة من معلم.

وقد روينا أن الشعبي قال سمعت أبا بكر يقول: مررت بمؤدِّب وقد تلا على غلام: «فريق في الجنة وفريق في الشعير». فقلت: ما قال الله من هذا شيئًا إنما هو: (فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) فقال: أنت تقرأ على حرف أبي عاصم بن علاء الكسائي وأنا أقرأ على حرف أبي حمزة بن عاصم

المدني، قلت: معرفتك بالقراء أعجب وأغرب.

قال: حدثنا مُحَمَّد بن خلف قال: قال بعض المُجَّان: مررت ببعض دور الملوك، فإذا أنا بمعلم خلف ستر قائم على أربعة ينبح نبح الكلاب، فنظرت إليه فإذا صبي خرج من خلف الستر فقبض عليه المعلم، فقلت للمعلم: عرفني خبرك. قال: نعم هذا صبي يبغض التأديب ويفر ويدخل إلى الداخل ولا يخرج، وإذا طلبته بكى، وله كلب يلعب به، فأنبح له فيظن أني كلبه فيخرج إليَّ فآخذه.

عن الكسائي قال: كان الذي دعاني أن أقرأت بالري أني مررت بمعلم صبيان يقرأ: «ذواتي أكل خمط وأتل» بالتاء، فتجاوزته فإذا معلم آخر قد ذكرتُ له ذلك فقال: أخطأ الصواب «وابل»، فدعاني أني أقرأت الصبيان.

قال الجاحظ: قلت لبعض المعلمين ما لي لا أرى لك عصا؟ قال: لا أحتاج إليها، إنما أقول لمن يرفع صوته أمه زانية فيرفعون أصواتهم وهذا أبلغ من العصا وأسلم.

قال: وقلت لمعلم: لِمَ تضرب غلمانك من غير جرم؟ قال: جرمهم أعظم الإجرام؛ يدعون لي أن أحج وإن حججت تفرَّقوا في المكاتب، فمتى أحج؟ أنا مجنون؟!

قال غلام للصبيان: هل لكم أن يفلتنا الشيخ اليوم؟ قالوا: نعم. قال: تعالوا لنشهد عليه أنه مريض، فجاء واحد منهم فقال: أراك ضعيفًا جدًّا وأظنك ستُحَمُّ، فلو مضيت إلى منزلك واسترحت. فقال لأحدهم: يا فلان يزعم فلان أني عليل؟ فقال: صدق واللهِ وهل يخفى هذا على جميع

الغلمان إن سألتهم أخبروك، فسألهم فشهدوا فقال لهم: انصرفوا اليوم وتعالوا غدًا.

ضرب معلم غلامًا فقيل له: لِمَ تضربه؟ فقال: إنما أضربه قبل أن يذنب لئلا يذنب.[1]

قيل إن معلمًا جاء إلى الجاحظ فقال: أنت الذي صنعت كتاب المعلمين تعيبهم؟ قال نعم. قال: وذكرت فيه بعض المعلمين جاء إلى الصياد وقال: إيش تصطاد طريًّا أم مالحًا؟ قال: نعم. قال: ذلك أبله ولو كان فيه ذكاء كان يقف فينظر إن خرج طري علم أو خرج مالح علم.

قال الجاحظ: مررت بمعلم وصبيانه يتصافعون وبعضهم يصفع المعلم فقلت لهم: ما هذا؟ قال: يكون لي عليهم دَين فقلت له: ينسى ويقضى ولا أراه يحصل شيئًا.

قال: مررت بمعلم وقد كتب لغلام: «وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدًا وأكيد كيدًا فمهل الكافرين أمهلهم رويدًا.» فقلت له: ويحك! فقد أدخلت سورة في سورة. قال: نعم إذا كان أبوه يُدخل شهرًا في شهر فأنا أيضًا أُدخل سورة في سورة فلا آخذ شيئًا ولا ابنه يتعلم شيئًا.

قال الجاحظ: ومررت بمعلِّم صبيان وهو جالس وحده وليس عنده صبيانه فقلت له: ما فعل صبيانك؟ قال: ذهبوا يتصافعون. فقلت: أذهب وأنظر إليهم. فقال: إن كان ولا بد فغط رأسك لئَلَّا يحسبوك أنا فيصفعوك حتى تعمى.

ورأيت معلمًا قد جاءه غلامان قد تعلق كل واحد منهما بالآخر فقال: يا معلم، هذا عض أذني. فقال: ما عضضتها وإنما عض أذن نفسه. فقال: يا ابن الخبيثة هو جمل حتى يعض أذن نفسه؟

قال الجاحظ: من أعجب ما رأيت معلمًا بالكوفة وهو شيخ جالس ناحية من الصبيان يبكي، فقلت له: يا عم مِمَّ تبكي؟ قال: سرق الصبيان خبزي.

قال أبو العنبس: كان ببغداد معلم يشتم الصبيان، فدخلت عليه وشيخ معي فقلنا: لا يحل لك! فقال: ما أشتم إلا من يستحق الشتم فاحضروا حتى تسمعوا ما أنا فيه. فحضرنا يومًا فقرأ صبي: «عليها ملائكة غلاظ شداد يعصون الله ما أمرهم ولا يفعلون ما يؤمرون.» فقال: ليس هؤلاء ملائكة ولا أعراب ولا أكراد. فضحكنا حتى بال أحدنا في سراويله.

وقرأ عليه آخر: «هم الذين يقولون لا تنفقوا إلا من عند رسول الله.» فقال: يا ابن الفاعلة أتلزم النبي بنفقة مال لا تجب عليه؟

قال بعضهم: مررت بمعلم والصبيان يضربونه وينتفون لحيته، فتقدمت لأخلصه فمنعني وقال: دعهم، بيني وبينهم شرط إن سبقتهم إلى الكُتَّاب ضربتُهم وإن سبقوني ضربوني، واليوم غلبني النوم فتأخرت ولكن وحياتك إلَّا بكرت غدًا من نصف الليل وتنظر فعلي بهم. فالتفت إليه صبي وقال: أنا أبات الليلة ها هنا حتى تجيء وأصفعك.

عن أبي الفتح مُحَمَّد بن أحمد الحريمي قال: كان عندنا بخراسان إنسان قروي فكان له عجل، فدخل داره وأدخل رأسه في حب الماء ليشرب

فبقي رأسه في الحب، فجعل يعالج رأسه ليخرجه من الحب فلم يقدر، فاستحضر معلم القرية فقال: قد وقعت واقعة. قال: فما هي؟ فأحضره وأراه العجل فقال: أنا أخلصك، أعطني سكينًا فذبح العجل فوقع رأسه في الحب وأخذ حجرًا وكسر الحب فقال القروي: بارك الله فيك قتلت العجل وكسرت الحب.

---

(١) قال الجاحظ: أتت امرأة إلى معلم بابن لها وكان المعلم طويل اللحية فقالت: إن هذا الصبي لا يطيعني فأحب أن تفزعه، فأخذ المعلم لحيته وألقاها في فمه وحرك رأسه وصاح صيحة فضرطت المرأة من الفزع وقالت: إنما قلت لك فزِّع الصبي ليس إياي! فقال لها: مري يا حمقاء إن العذاب إذا نزل هلك الصالح والطالح. من شرح المقامات الحريرية للشريشي.

الباب الثالث والعشرون

في ذكر المغفلين من الحاكة

عن أبي عبد الله – يعني أحمد بن حنبل رضي الله عنه – قال: حدثنا سفيان عن أبي هارون – يعني موسى بن أبي عيسى – أن مريم ذهبت تطلبه – يعني عيسى – فلقيت حائكًا فقال: ذهب هكذا. قال سفيان: كذبها. فقالت: اللهم توهه. فلا تجده إلا تائهًا، وسألت رجلًا خياطًا فأرشدها فدعت له فهو يجلس إليهم.

وعن موسى بن أبي عيسى أن مريم فقدت عيسى فدارت تطلبه، فرأت حائكًا فلم يرشدها فدعت عليه فلا تزال تراه تائهًا، ورأت خياطًا فأرشدها فدعت له فهو يأنس إليهم ويجلس معهم.

الباب الرابع والعشرون

في ذكر المغفلين على الإطلاق

عن أبي العيناء قال: قال لي الجاحظ: كان لنا جار مغفَّل جدًّا وكان طويل اللحية فقالت له امرأته: من حمقك طالت لحيتك فقال: من عَير عُير.

قال: وقد رأى على بابه قذَرًا فقال: هذا الذي قذر خلفنا إن كان صادقًا فليقذر في وجوهنا حتى نعلم. ووُلِدَ له ولد فقيل له: ما تسميه؟ فقال: عمر بن عبد العزيز. وهنَّئُوه، فقال: إنما هو من الله ومنكم.

وعن أحمد بن عمر البرمكي قال: قال أبو المنذر: مرت بي آية وهي قوله تعالى: (لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي)، فلم يرض موسى أن ادعى ملك نفسه حتى ادعى ملك أخيه، رحم الله موسى ما كان إلا قدريًّا صرفًا أسأل الله أن لا يؤاخذه.

عن إسماعيل بن زياد قال: نشزت على الأعمش امرأته، وكان يأتيه رجل يُقال له أبو البلاد فصيح يتكلم بالعربية يطلب منه الحديث فقال له: يا أبا البلاد إن امرأتي قد نشزت عليَّ وغمتني فادخل عليها وأخبرها بمكاني من الناس وموضعي عندهم. فدخل عليها فقال: إن الله قد أحسن قسمك، هذا شيخنا وسيدنا، وعنه نأخذ أصل ديننا وحلالنا وحرامنا، لا

يغرك عموشة عينيه ولا خموشة ساقيه. فغضب الأعمش عليه وقال: أعمى الله قلبك قد أخبرتها بعيوبي كلها، اخرج من بيتي. فأخرجه.

عن مُحَمَّد بن سلام قال: قال الشعبي: كان شاب يجلس إلى الأحنف فأعجبه ما رأى من صمته إلى أن قال له ذات يوم: أوَد أن تكون على شرف هذا المسجد، وإن لك مائة ألف درهم. فقال له: يا ابن أخي واللهِ إن مائة الألف لمحروص عليها ولكني قد كبرت وما أقدر على القيام على هذه الشرفة. وقام الفتى فلما ولى قال الأحنف:

وَكَائِنٍ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٌ ... زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ

لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ ... فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ

عن نافع قال: كان ابن عمر يمازح جارة له فيقول: خلقني خالق الكرام وخلقك خالق اللئام. فتغضب وتصيح وتبكي ويضحك ابن عمر.

عن مُحَمَّد بن الحسن بن زياد عن بعض ولد أبي الشوارب – وكان أحمق – أن أباه أمره بتقيير حَب فقيره من خارج، فقال له أبوه: ما هذا الفعل؟ قال: إذا شئت أن تقلبه فاقلبه.

وحكي أن هذا المذكور قد احتلم ليلة في وقت بارد وكره أن ينغمس في الماء البارد وطلب شيئًا يسخن فيه الماء فلم يجد، فنزع ثوبه وعبر النهر سباحة حتى استعار شيئًا يسخن فيه الماء ورجع سباحة، ثم سخن فيه واغتسل.

عن أبي العيناء أنه قال: رأيت يومًا في الوراقين مناديًا مغفلًا في يده

مصحف مخلق الأداة، فقلت له: نادِ عليه بالبراءة من العيب. وأنا أعني به الأداءة، فأقبل ينادي بالبراءة مما فيه فأوقعوا به.

عن البحتري قال: قال لي السراج: منذ أربعين سنة لم أوتر خلافًا لمن يوجبها. قلت: انظر إلى تغفيل هذا الرجل كيف ترك واجبًا عند قوم وسُنَّةً عند الأكثرين وما يضر من أوجبها من تركه إياها.

عن معمر أنه قال: دخلت مسجد حمص فإذا أنا بقوم لهم رواد، فظننتُ فيهم الخير فجلست إليهم فإذا هم ينتقصون علي بن أبي طالب ويقعون فيه، فقمت من عندهم فإذا شيخ يصلي ظننت فيه الخير فجلست إليه، فلما أحس بي وسلَّم قلت: يا عبد الله ما ترى هؤلاء القوم ينتقصون عليًّا ويشتمونه؟ وجعلت أحدثه بمناقبه وأنه زوج بنت رسول الله ﷺ وأبو الحسنين وابن عم الرسول، فقال: يا عبد الله ما لقي الناس من الناس، ولو أن أحدًا نجا من الناس لنجا منهم أبو مُحَمَّد رحمه الله هو ذا يُشتم وحده. قلت: ومن أبو مُحَمَّد؟ قال الحجاج بن يوسف. وجعل يبكي فقمت عنه وقلت: لا يحل لي أن أبيت في هذه البلدة. فخرجت من يومي.

قال: وفي هذا المعنى قال ابن الماجشون: كان لي صديق مدني فقدته مدة، ثم رأيته فسألته عن حاله فقال: كنت بالكوفة. فقلت: كيف أقمت بها وهم يسبون أبا بكر وعمر؟ فقال: يا أخي قد رأيت منهم أعجب من ذا. قلت: وما هو؟ قال: يفضلون الكباشي على معبد في الغناء. فسمع المهدي بذلك فضحك حتى استلقى.

وعن علي بن مهدي قال: مر طبيب بأبي واسع فشكا إليه ريحًا في

بطنه فقال له: خذ الصعتر. فقال: يا غلام دواة وقرطاس. وقال: قلت: ماذا أصلحك الله؟ قلت: كف صعتر ومكوك شعير. فقال: لِمَ لم تذكر الشعير أولًا؟ قال: ما علمت أنك حمار إلا الساعة.

وعن أبي خلف قال: كان رجل يعرف بالمسكي يدَّعي البصر بالبراذين، فنظر يومًا إلى برذون واقف، قد بلع رأس اللجام فقال: العجب كيف لا يزرعه القيء! أنا لو أدخلت إصبعي في حلقي لما بقي في جوفي شيء. قال: قلت: الآن علمت أنك بصير بالبراذين.

قال وسأل أبو نواس أحد الوراقين الذي كانوا يكتبون في حانوت أبي داود: أيٌّ أسن: أنت أم أخوك؟ قال: إذا جاء رمضان استوينا.

قال: وسُرِقَتْ منه دراهم فقيل له: نرجو أن تكون في ميزانك. فقال: من الميزان سُرِقَتْ.

وقيل لسورة الواسطي – وأراد سفرًا: أحسن الله صحابتك قال: ما أحتاج، الموضع أقرب من ذلك.

عن أبي حصين قال: عاد رجل عليلًا فعزَّاهم فيه، فقالوا له: إنه لم يمت. فقال: يموت إن شاء الله.

وعن أبي عاصم قال: قال رجل لأبي حنيفة: متى يحرُم الطعام على الصائم؟ قال: إذا طلع الفجر. قال: وإذا طلع الفجر نصف الليل؟ قال: قم يا أعرج.

عن أبي بكر بن مروان قال: كان يجلس إلى أبي حنيفة رجل يطيل

الصمت، فأعجب ذلك أبو حنيفة وأراد أن يبسطه فقال له: يا فتى، ما لك لا تخوض فيما نخوض فيه؟ فقال الفتى: متى يَحْرُم على الصائم الطعام؟ فقال أبو حنيفة: إذا طلع الفجر. فقال الفتى: فإن لم يطلع الفجر إلى الظهر؟ فقال أبو حنيفة: أنت رجل أعرف بنفسك.

وعن طاهر الزهري قال: كان رجل يجلس إلى أبي يوسف فيُطيل الصمت فقال له أبو يوسف: ألا تتكلم! قال: بلى، متى يفطر الصائم؟ قال: إذا غابت الشمس. قال: فإن لم تغِب إلى نصف الليل؟ فضحك أبو يوسف وقال: أصبتَ في صمتك وأخطأتُ أنا في استدعائي لنطقك. ثم قال:

عَجِبْتُ لِإِزْرَاءِ الْعَيِيِّ بِنَفْسِهِ ... وَصَمَّمْتُ الَّذِي قَدْ كَانَ بِالصَّمْتِ أَعْلَمَا

وَفِي الصَّمْتِ سِتْرٌ لِلْعَيِيِّ وَإِنَّمَا ... صَحِيفَةُ لُبِّ الْمَرْءِ أَنْ يَتَكَلَّمَا

عن أبي الحسن المدني قال: سُرِقَ لأبي الجهم بن عطية حمار، فقال: لا والله يا رب ما أخذ حماري غيرك وأنت تعرف موضعه فاردده عليَّ.

عن مسعود قال: وجَّه عمرو بن سلمة ابن قتيبة أخاه ليشتري لأمه كفنًا فقال للبائع: لا تنتخبه فإنها رحمها الله كانت رديئة اللبس.

قال الدارقطني: عن أبي الحسين بن عبد الرحيم الخياط قال: كنت جالسًا عند أحمد بن الحسين، فجاءته امرأة برقعة فيها مسألة فقال لي: اقرأها عَلَيَّ يا أبا الحسين، فقرأتها فإذا فيها: رجل قال لامرأته: أنت طالق إن ... ثم وقف عند «إن» فقال لها: فما حال وقف عند إن؟ قالت: لست أعرف عند إن. فقال لي: أعد القراءة، فأعدت عليه كما قرأت أول

مرة فقال لها: فثم وقف عند إن، هذا ولم يتم. قالت: لا والله ما أعرف وقف عند إن. قال: وكان في المسجد جماعة فقال لهم: انظروا. فقرءوا كلهم كما قرأتُ، ثم تنبه بعضهم لذلك فقال: إنما هو رجل قال: لامرأته أنت طالق «إن». ثم وقف عند «إن».

وعن المرزبان قال: قال أبو عثمان البصري: كان إخوة ثلاثة: أبو قطيفة والطبلي وأبو كلير، وهم ولد غياث بن أسد، فأما أحدهم فكان يحج عن حمزة بن عبد المطلب ويقول استُشهِد قبل أن يحج، والآخر يضحي عن أبي بكر وعمر ويقول غلطَا في ترك الأضحية، والآخر يفطر عن عائشة أيام التشريق ويقول غلطت في صوم أيام العيد، فمن صام عن أبيه فأنا أفطر عن أمي عائشة.

قال أبو عثمان: وذكر لأبي شعيب البلال عبد الله بن حازم وحميد الطوسي ويحيى الحرمي، وما كانوا فيه من كثرة القتل والضرب والعذاب فقال: ويحهم! كيف يجسرون على ذاك الأسد؟ يعني الله تعالى عما قال.

قال أبو عثمان: وسمع بعض الحمقى مؤذنًا يؤذن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله. فقال الأحمق: أشهدها مع كل شاهد وأجحدها مع كل جاحد.

وعن علي بن المحسن التنوخي عن أبيه قال: تقدم إليَّ في سنةِ ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة وأنا أتقلد القضاء بالأهواز في مجلس حكم رجلان ادَّعى أحدهما على الآخر دعوى، فسألته عنها فأنكرها فطالبت المدعي بينة فعدمها وطلب استحلاف الخصم فقلت له: أتحلف؟ فقال: ليس له عليَّ

شيء كيف أحلف؟ ولو كان له عليَّ شيء لحلفت له وأكرمته.

وعن ثمامة بن أشرس قال: شهدت رجلًا وقد قدَّم خصمًا له إلى بعض الولاة فقال: أصلحك الله أنا رافضي ناصبي وخصمي جهمي مشبه مجسِّم قدري يشتم الحجاج بن الزبير الذي هدم الكعبة على علي بن أبي سفيان ويلعن معاوية بن أبي طالب. فقال له الوالي: ما أدري ممَّ أتعجب من علمك بالأنساب أم من معرفتك الألقاب. قال: أصلحك الله ما خرجت من الكُتَّاب حتى تعلمت هذا كله.

وعن مُحَمَّد بن المبرد: عن الحسن بن رجاء: أن الرشيد لما غضب على ثمامة دفعه إلى سلام الأبرش وأمره أن يضيِّق عليه وأن يدخله بيتًا ويطين عليه ويترك فيه ثقبًا ففعل دون ذلك وكان يدس إليه الطعام، فجلس سلام عشية وهو يقرأ في المصحف فقرأ: «ويل يومئذٍ للمكذبون.» فقال: ثمامة: إنما هو «المكذبين» وجعل يشرح ويقول المكذَّبون هم الرسل والمكذِّبين هم الكفار. فقال: قد قيل لي إنك زنديق ولم أقبل. ثم ضيق عليه أشد الضيق، قال: ثم رضي الرشيد عن ثمامة فجالسه فقال: أخبرني عن أسوأ الناس حالًا. فقال كل واحد شيئًا، قال ثمامة: وبلغ القول إليَّ فقلت يا أمير المؤمنين: عاقل يجري عليه حكم جاهل. فتبينتُ الغضب في وجهه فقلت: يا أمير المؤمنين ما أحسبني وقعتُ بحيث أردت. قال: لا والله. فانشرح، فحدثته بحديث سلام فضحك حتى استلقى وقال: صدقت، واللهِ لقد كنت أسوأ الناس حالًا.

عن المرزبان قال: أخبرني بعض أصحابنا قال: قال رجل لرجل في يوم

بارد: أصب عليك جرة ماء وأعطيك درهمًا؟ فتلكأ فقال آخر: افعل ذلك عليَّ والدرهم بيني وبينه.

وعن ابن المرزبان قال: أخبرني بعض الأدباء قال: قال رجل من العراق لرجل من الشام في كلام جرى بينهما: حلق الله لحيتك. قال: بمكة إن شاء الله، كذلك قال بعض الأدباء.

قال: سئل خطيب أي أفضل: معاوية أم عيسى بن مريم؟ فقال: لا إله إلا الله أتقيس كاتب الوحي بنبي النصارى؟!

قال: تقدم رجل إلى بعض الفقهاء فقال له: الرجل إذا خرج منه الريح تجوز صلاته؟ فقال: لا. قال: قد فعلت أنا وجاز.

وعن ابن المرزبان قال: دعا رجل من الأشراف بمكة فقال: اللهم إن كنت ما تعرفني فأنا فلان بن فلان، وإني مررت بعبدك فلان وهو يقول شيئًا فيه فحش فرفسته فانبطح يفحص برجليه ميتًا، اللهم قد أقررت لك الآن فاغفر لي كما تريد.

وخرج رجل إلى السوق يشتري حمارًا، فلقيه صديق له فسأله فقال: إلى السوق لأشتري حمارًا. فقال: قل: إن شاء الله. فقال: ليس ها هنا موضع إن شاء الله، الدراهم في كمي والحمار في السوق. فبينما هو يطلب الحمار سُرِقَتْ منه الدراهم فرجع خائبًا، فلقيه صديقه فقال له: ما صنعت؟ فقال: سُرِقَتِ الدراهم إن شاء الله. فقال له صديقه: ليس ها هنا موضع إن شاء الله.

قال: وركب أحمقان في قارب فتحركت الريح فقال أحدهما: غرقنا

واللهِ. وقال الآخر: لا إن شاء الله قال: لا تستثنِ حتى تسلم.

قال: وأخبرني بعض أصحابنا قال: تزوج رجل امرأة صغيرة فقيل له في ذلك فقال: إنما المرأة شر، وكلما أقللت من الشر كان خيرًا.

عن أبي علي البصري قال: أخبرت أن رجلًا ورِث مالًا جزيلًا فعمِل فيه ما اشتهى. فقال: أريد أن تفتحوا عليَّ صناعة لا يعود عليَّ منها شيء، فأتلف بها هذا المال. فقال له أحد جلسائه: اشتر التمر من الموصل واحمله إلى البصرة، وقال آخر له: اشتر من إبر الخياطة التي ثلاثة بدرهم، فإذا جمعت عشرة أرطال اسبكها نقدًا تبيعها بدرهمين، وقال آخر: اشتر ما شئت واخرج إلى الأعراب فبعه منهم وخذ «سفاتجهم» إلى الأكراد وبع من الأكراد وخذ «سفاتجهم» إلى الأعراب. فكان يفعل ذلك حتى فني ماله.

عن الحارثي قال: قال رجل لامرأته وقد غضب عليها: يا هذه أنا الذي إذا رأيت المرأة تأتي بقبيح أهينها وأهين من يهينها.

قال الحارثي: وكان يلزم القاضي أبا الحسن الهاشمي رجل بالبصرة من أهلها يقال له أبو فضالة، وكان ربما سأل القاضي عن مولده فيقول: وُلِدْتُ في سنة خمس وسبعين ومائتين، فما أراه يكثر في طول هذه المدة، فإذا الكبر يكون عنده بقدم المولد إلى فوق.

قال: وكنا نتماشى في ليلة مقمرة فرأى سنورًا أبيض أسود الذنب فقال لي: يا أحمد ما ترى هذه السبيكة التي في طرفها المصباح ترى ممن سقطت؟ وجاء ليأخذها فوثبت عليه ونهشت يده فأفلتها.

عن الهذيل أنه قال: كان عندنا بالمدينة حمَّام فجاءته عجوز فقالت:

أعطني بدرهم لحمًا وطيِّبه لي وأخبرني باسمك حتى أدعو لك، فأعطاها شر لحم وقال: اسمي «من تمد» فلما أفطرت العجوز جعلت تمد اللحم فلا تقدر عليه، فجعلت تقول: لعن الله «من تمد» فتلعن نفسها.

حكي أن قصابًا كان ينادي على اللحم: سري تعالوا على أربعة.

عن مُحَمَّد الداري قال: كان عندنا رجل بدارًا وكان فيه غفلة، فخرج من دارا ومعه عشرة أحمر فركب واحدًا وعدها، فإذا هي تسعة فنزل وعدها فإذا هي عشرة فلا زال كذلك مرارًا، فقال: أنا أمشي وأربح حمارًا خير من أن أركب ويذهب مني حمار. فرأيته يمشي حتى كاد يتلف إلى أن بلغ قريته.

قال: وطَلَقَت امرأة أبي الهذيل فقالوا له: امض خلف القابلة. فجاءها فقال: امض إلى بيتنا حتى تقبِلي امرأتي واحرصي أن يكون غلامًا ولك عليَّ دينار.

عن أبي العيناء قال: كان عندنا بالبصرة رجل يكنى أبا حفص ويلقب ببلاغة قال: كان يمر بالقوم فيقول: أنتم لا صبحكم الله إلا بالخير. ويمر بآخرين ويقول: أنتم لا مساكم الله إلا بالكرامة. وكان لا يمر آخر كلامه حتى يسبح.

عن أبي سعيد الحربي قال: كان إبراهيم بن الخصيب أحمق وكان له حمار وكان بالعشي إذا علَّق الناس المخالي أخذ مخلاة حماره فقرأ عليها: (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) وعلَّقها عليه فارغة وقال: لعن الله من يرى أن مكوك شعير خير من (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ)، فما زال حتى نفق الحمار فقال: والله ما

ظننت أن (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) تقتل الحمير، هي والله للناس أقتل لا قرأتها ما عشت.

عن أبي إسحاق الجوني قال: كان لنا جار نخَّاس يقال له عباس، قد أتى عليه خمس وثمانون سنة قال: فسألته امرأة عن مسألة فقالت له: زوجي طلقني ثلاثًا، فقال أرضي أبوك وأمك؟ قالت: لا. قال: فإذن يجوز العود حتى يرضى أبوك وأمك. قالت: قد سألت أبا إسحاق فقال لي قد طُلِّقْتِ. فقال: وما يدري أبا إسحاق أنا أبصر منه وأعلم منه وأكبر منه، أنا ألقيت على أبي إسحاق مسألة فلم يخرج منها.

عن المروزي قال: اشترى أبو عبد الحميد سمكة فنام إلى أن تستوي، فجيء بالسمكة فأكلتها امرأته مع نساء، ثم مسحت شفتيه وأطراف أصابعه منها، فانتبه فدعا بالغداء وقال: هاتوا السمكة. فقالت له امرأته: يا مخبل! ألست قد أكلتها ونمت ولم تغسل يديك؟ فشم يده فوجد ريح السمك فغسل يده وقال: ما رأيت سمكة أمرأَ من هذه. قد جعت فهَيِّئُوا لي الغداء.

عن يحيى بن معين قال: اشترى غندر سمكًا فقال لأهله: أصلحوه. ونام فأكل عياله السمك ولطخوا يده به، فلما انتبه قال: قدموا السمك. قالوا: قد أكلت. قال: صدقتم ولكني ما شبعت.

وقيل لغندر: إن الناس يعظمون أمر السلامة التي فيك فحدثنا منها بشيء صحيح. قال: صمت يومًا فأكلت ثلاث مرات ناسيًا؛ أكلت ثم ذكرت أني صائم، ثم نسيت، ثم ثنيت، ثم ثلثت فأتممت صومي.

وقال سمعت أبي يقول: قال المأمون: اختر لي اسمًا أسمي به جاريتي هذه. قال سمها: «مسجد دمشق» فإنه أحسن شيء.

عن أبي بكر بن زياد قال: مات جار لمكي فلم يتبع جنازته فقال له: ويحك! لِمَ لَمْ تتبع جنازته؟ فقال: أنتم مجانين أذكر بنفسي.

عن سفيان قال: كان رجل يقول لعمرو بن دينار: أنا أبصر بالنجوم. فقال له عمرو: أتعرف الهقعة والقنعة والوقعة؟ قال: نعم. قال: الآن لا تعلم من النجوم شيئًا.

دخل على حاتم العقيلي شيخ من أهل الري، فقال: أنت الذي تروي أن النبي ﷺ أمر بقراءة فاتحة الكتاب خلف الإمام؟ قال: قد صح الحديث عن النبي ﷺ في ذلك. فقال: كذبت، إن فاتحة الكتاب لم تكن في عهد رسول الله ﷺ، إنما نزلت في عهد عمر بن الخطاب.

قال المدائني: سمع أسماء بن خارجة نادبة فقال:

فَمَنْ لِلْمَنَابِرِ وَالْخَافِقَاتِ ... وَالْجُرْدِ بَعْدَ إِمَامِ الْعَرَبْ

وَمَنْ لِلطِّعَانِ غَدَاةَ الْهِيَاجِ ... وَمَنْ يَمْنَعُ الْبِيضَ عِنْدَ الْهَرَبْ

وَمَنْ لِلْعُفَاةِ وَفَكِّ الْعُنَاةِ ... وَمَنْ يُفْرِجُ الْكَرْبَ عِنْدَ الْكُرَبْ

فقال أسماء: إنها لتندب رجلًا شريفًا فمن هو؟ فقيل له: إنه فلان البقال ابن وردان الحائك. فقال: هذه أعظم المصيبتين.

عن المدائني: لقي رجل رجلًا ومعه كلبان، فقال: هب لي أحدهما. فقال: أيهما تريد؟ فإن الأسود أحب إليَّ من الأبيض، قال: فهب لي

الأبيض. قال: الأبيض أحب إليَّ من كليهما.

قال طارق: ودخل رجل على بلال فكساه ثوبين فقال: كساني الأمير ثوبين فاتزرت بالآخر وارتديت بالآخر.

قال طارق: ووقع بين جار لنا وجار له يكنى أبا عيسى كلام فقال: اللهم خذ مني لأبي عيسى. فقالوا: تدعو على نفسك؟ قال: فخذ لأبي عيسى مني.

قال أبو الفرج: حدثني أبي قال: رأيت إنسانًا يدغدغ نفسه فقلت له: لِمَ تفعل هذا؟ قال: اغتممت فأردت أن أضحك قليلًا.

قال ابن خلف: وقيل لهبيرة لما ماتت امرأته: اندبها؛ اذكرها بشيء. قال: يا فلانة رحمك الله، لقد كان بابك مفتوحًا ومتاعك مبذولًا.

عن عبد الرحمن بن داود قال: لقي تاجر تاجرًا فقال له: ما اسمك؟ ولا تطول. فقال: «أبو عبد منزل القطر عليكم من السماء تنزيلًا الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه.» فقال: مرحبًا بك يا ثلث القرآن!

وذكر ابن حبيب أن أخًا لعثمان بن سعيد سقط في البئر فقال أخوه: أنت في البئر؟ قال: أما تراني! قال: لا تذهب حتى أجيئك بمن يخرجك.

قال ابن خلف: قال مُحَمَّد: أخذ شراعة العسس فأمر به إلى السجن فقال: أصلحك الله، عليَّ يمين أن لا أبيت عن أهلي.

وقال أخبرني بعض أصحابنا قال: أراد ناجية الخروج إلى بغداد فوضع

سلمًا وجعل يصعد وينزل فقيل له: ما تصنع؟ قال أتعلم السفر.

قال: ودخل الماء إلى كعبه فصاح: الغرق! فقيل له في ذلك فقال: أردت أن آخذ بالوثيقة.

وعنه: دخل على أبي يعقوب وهو يجود بنفسه فقيل له: قل: لا إله إلا الله. فقال:

أَمِثْلِي يُرَوَّعُ بِالنَّائِبَاتِ ... وَيَخْشَى حَوَادِثَ صَرْفَ الزَّمَنْ

أَذَلَّنِيَ اللهُ ذُلَّ الْحِمَارِ ... وَأَدْخَلَنِي حِرَّ أُمِّي إِذَنْ

وعنه: حدثني عبد الرحمن بن محمد قال: اشترى رجل جوزًا وجعل يقلبه، فأخذ جوزة في يده فقال: ما أرى في جوفها شيئًا؟ ثم قال: أستغفر الله لا أكون اغتبتها.

وعنه: ذكر عن حباب بن العلاء قال: كنت بالمدينة فحضرت قاضيًا بها فإذا رجل قد أقبل يقود حمارًا ومعه رجل آخر، فأخبر أن حماره سُرِقَ وأنه وجده مع هذا، فسأله القاضي فقال: الحمار لي وهو في يدي. فقال للمدعي: ألك بينة؟ قال: نعم. فقال: أحضرهم. فقام وركب الحمار ومضى عليه، فأقبلت على الذي كان الحمار في يده فقلت له: كيف أعطيته الحمار بعد ما رأيت من دعواه؟ فقال: استعاره مني.

قال ابن خلف: وأخبرني أبو صالح البصري قال: وُلِدَ لرجل ابنٌ في غيبته، فكتبت إليه امرأته تبشره بالمولود فكتب إليها: بلغني أنك ولدت ابنًا، فأحسن الله جزاءك وأعان على مكافأتك وقد سميته «محمد بن عبد الله ﷺ».

قال: وأخبرني بعض أهل الأدب قال: أراد رجل أن يختن ابنه فقال للحجام: ارفق به فإنه ما اختتن قط.

قال عثمان بن عمر: نزل الموت بزوج امرأة فقيل لها: لو دخلت على زوجك ودعتيه! قالت: أخاف أن يعرفني ملك الموت.

كان لإبراهيم وكيل يقال له خليل، فقدم من ضيعته فقال له: متى قدمت؟ قال: غدًا يا سيدي. قال: فأنت إذن في الطريق.

قال: سمعت أبا بكر بن مُحَمَّد يقول: قلت لأبي العبر: لقد أسرع إليك الشيب. قال: وكيف لا يسرع إليَّ الشيب وأنا أبكر كل يوم إلى من لو كان أمره إلى أن يسرح مع النعاج ويلقط مع الدجاج، هذا «ابن حمدان» يملك ألف ألف درهم قصدته يومًا فبينا أنا عنده عطس فقلت له: يرحمك الله. فقال لي: يعرفك الله.

قال الحاكم: سمعت أبا الحسن بن عمر يقول: بعت دارًا لي فكنت كلما أذَّنت بباب المسجد أنسى أنني بعتها، فأصلي وأرجع إليها وأفتح الباب وأدخل، فيصحن بي النساء: يا رجل اتق الله فينا. فأقول: اعذرنني فإني ولدت في هذه الدار وأنسى كل يوم. إلى أن أتى على ذلك مدة.

قال كان عبدان الأسدي الشاعر أحمق فيقال إنه كان يأتي ابن بشر فيقول له: أخمسمائة اليوم أحب إليك أم ألف في القابل؟ فيقول: ألف في قابل. فإذا أتاه قابلًا قال له: ألف أحب إليك العام أم ألفان في القابل؟ فلم يزل كذلك حتى مات.

عن أبي الحسن الدامغاني حاجب معز الدولة قال: كنت في دهليز معز

الدولة فصاح صائح: نصيحة. فاستدعيته وقلت له: ما نصيحتك؟ قال: لا أذكرها إلا للأمير. فدخلت فعرَّفته فقال: هاته. فأحضرته بين يديه فقال: ما عندك؟ قال: أنا رجل صياد بناحية المدائن، وكنت أصيد فعلقت شبكتي بأسفل جرف فاجتهدت في تخليصها فتعذر ذلك عليَّ حتى نزلت وغصت في الماء، فإذا هي معلقة بعروة حديد، فحفرت فإذا قمقم مملوء مالًا فرددته مكانه وناديت لأعرف الأمير. قال الدامغاني: فانحدرت معه في الوقت إلى المدائن العتيقة وقصدنا الجرف فوجدنا القمقم وقلعناه وسعيت بنفسي في تتبع الموضع، فتقدمت إلى الصياد استقصاء الحفر فوجدنا سبعة قماقم أخر مملوءة مالًا فحملنا الجميع إلى معز الدولة فسُرَّ به، فأمر للصياد بعشرة آلاف درهم فامتنع عن قبولها وقال: الذي أريده غيرها. قال: ما هو؟ قال: تجعل لي صيد تلك الناحية وتمنع كل أحد غيري من الصيد. فضحك الأمير وعجب من جهله وحمقه وأمر له بما سأل.

عن المدائني عن عمرو بن الحسن قال: خرج أهل بيت من اليمن من منازلهم حتى صاروا إلى شعب من الجبل فاختفوا فيه وقالوا: نهرب من شهر رمضان لا يدخل علينا.

قال أبو علي الداراني: كان الطالقاني من أصحاب أبي حنيفة، وكان شديد الغفلة فقال يومًا لابن عقيل: كيف مذهبكم في المرأة هل يجوز أن يزوجها ابنها؟ قال له ابن عقيل: في ذلك تفصيل، إن كانت بكرًا جاز وإن كانت ثيبًا لا يجوز. فقال: ما سمعت هذا التفصيل قط.

قال: وكان الطالقاني يُسأل فيقال له: ما تقول في فأرة ميتة مشت

على شيء هل ينجس؟ فيقول: لا.

حدثني بعض أصدقائنا قال: كان بواسط رجل من المعدلين إلى جانب داره إصطبل، فقال له أهله: إنَّا نغسل الثياب في السطح فيطير بعضها إلى الإصطبل فلا يردونه علينا، فقال: وأنتم إذا طار لهم إليكم شيء فلا تردوه. قالوا: أي شيء يطير من أرض الإصطبل إلى سطحنا؟ قال: أي شيء طار مثل لجام ومقود وفرس وغيره.

قيل إن رجلًا من «السندية» وهي على ستة فراسخ من بغداد جاء بدجاج ليبيعه قريبًا من دجلة ببغداد، فأفلتت دجاجة فطلبها فلم تقع بيده، فقال لها: اذهبي إلى القرية حتى أبيع الباقي. ثم جاء وباع البواقي ورجع إلى القرية وجعل يتفقد الدجاجة فلم يرها فقال لزوجته: أين الدجاجة الرقطاء؟ فقالت لا أدري. فقال: تركتها من بغداد لترجع إليكم فما جاءت.

قال ابن ناصر: كتب بعض الأدباء «الحمام التي» فقيل له: إن الحمام مذكر. قال: هو حمام النساء.

قال: دعي بعض المغفلين إلى دعوة فاشتغل الناس بالأكل وجعل هو ينظر إلى الستور المعلقة، وكانت الحيطان كلها قد سُتِرَتْ فقيل له: ما لك لا تأكل؟ فقال: والله لقد طال تعجبي من هذه الستور الطِّوَال كيف دخلت من هذا الباب القصير؟

عن إبراهيم بن دينار قال: كان رجل يقول إنه فقيه يكنى أبا الغوث وفيه تغفيل، فقلت له: ما تقول فيمن نذر صوم عاشوراء فاتفق عاشوراء في

رمضان هل يجزئه عنها؟ قال الخرقي: فقد نص على أنه يجزئه. فقلت: ما تقول فيمن طلق امرأته ثم وقفها، هل يفتقر في هذا الوقف إلى حكم حاكم؟ قال: أما مذهب أبي حنيفة فيفتقر إلى حكم حاكم، وأما مذهبنا مذهب الشافعي فيصح الوقف.

دخل بعض المغفلين على مريض يعوده، فلما خرج التفت إلى أهله وقال: لا تفعلوا بنا كما فعلتم في فلان؛ مات وما أعلمتمونا، إذا مات هذا فأعلمونا حتى نصلي عليه.

عن الصقلاطي: أن رجلًا كان عندهم بالجانب الغربي له غلام فبعثه إلى قرية ليأتيه منها بغنم، فبعثوا معه من الحملان عشرة وكتبوا معه بعددها رقعة، فجاء الغلام بتسعة فقال له سيده: كم سلموا إليك؟ قال: عشرة. قال: هذه تسعة. قال: عدها. فجعل يعدها يقول: واحد اثنين ثلاثة. إلى أن قال: تسعة. فقال الغلام: والله ما أدري ما تقول وما هي إلا عشرة. فقال: ويحك! إني أعدها. قال: ما هي إلا عشرة وإلا فتُدخل إلى الدار عشرة من الرجال وتمسك كل واحد حملًا. قال: أفعل. فأدخلوا عشرة ومسك كل رجل حملًا وبقي واحد فقال له السيد: هذا ما معه شيء. فقال: هذا مدير كان يدخل ويأخذ في الأول.

حكي أن رجلًا أراد السفر إلى «عكبرى»: فصادف زورقًا مصعدًا فاكترى فيه بدرهم، فلما ساروا قليلًا قالوا: ليت لنا مداد نكتريه. فقال: أنا. فأعطوه الدرهم وقام يمدهم.

قال: دخلت عجوز على قوم تعزيهم بميت فرأت في الدار عليلًا،

فرجعت وقالت: أنا واللهِ يشق عليَّ المشي، وأحسن الله عزاءكم في هذا العليل أيضًا.

قال البزاز: دخلنا إلى أبي حامد وهو عليل فقلنا: كيف تجدك؟ فقال: أنا بخير لولا هذا الجار دخل عليَّ أمس وقد اشتدت بي العلة فقال: يا أبا حامد علمت أن ذنجويه مات؟ فقلت: رحمه الله. قال: دخلت على المؤمل بن الحسن اليوم وهو في النزع. فقال: يا أبا حامد، ابن كم أنت؟ قلت في السادس والثمانين قال: أنت إذن أكبر من أبيك يوم مات.

عن أبي الفضل أحمد الهمداني قال: جاءت امرأة إلى القاضي وذكرت أن زوجها طلقها، فقال القاضي: لك بينة؟ فقالت: نعم، جارٌ لنا، قال: فأحضرته، فقال القاضي: أسمعت طلاق هذه المرأة؟ فقال: يا سيدي، خرجتُ إلى السوق فاشتريتُ لحمًا وخبزًا ودبسًا وزعفرانًا، فقال له القاضي: ما سألتك عن هذا. هل سمعت طلاق هذه المرأة؟ قال: ثم تركته في البيت وعدتُ فاشتريتُ حطبًا وخلًّا، فقال: دع هذا عنك، فقال: ما أحسن الحديث إلا بالحديث من أوله، ثم قال: جلتُ في الدار جولة فسمعتُ زعقاتهم وسمعتُ الطلاق الثلاث، فما أدري أهي طلقته أم هو طلقها.

قال: حدثني جماعة من أهل سابور، فيهم كُتَّاب وتجَّار وغير ذلك، أنه كان عندهم في سنة نيف وأربعين وثلاثمائة شابٌّ من كتَّاب البلد؛ وهو ابن أبي الطيب القلانسي الكاتب، فخرج إلى بعض شأنه في الرستاق، فأخذه الأكراد وعذبوه، فطلبوا منه أن يشتري نفسه منهم، فلم يفعل، فكتب إلى

أهله: أهدوا لي أربعة دراهم أفيون، واعلموا أنه هو دواء أشربه فيلحقني سكتة، فلا يشك الأكراد أني ميت فيحملوني إليكم، فإذا جُعلت عندكم فأدخلوني الحمام واضربوني ليحمى بدني، وشكوني بالإبار فإني أفيق. وكان الفتى مُتخلفًا، وقد سمع أنه من شرب الأفيون أسكت، فإذا دخل الحمام وضُرب – كما ذكر – برئ، ولم يدر مقدار شربه من ذلك، فشرب أربعة دراهم فلم يشك الأكراد في موته، فلفوه وأنفذوه إلى أهله، فلما حصل عندهم أدخلوه الحمام وضربوه وشكوه فما تحرك، وأقام في الحمام أيامًا، فرآه الأطباء فقالوا: هذا قد تلف. كم شرب من الأفيون؟ قالوا: أربعة دراهم، فقالوا: هذا لو شوي في جهنم ما عاش. إنما يجوز أن يُفعل هذا بمن شرب أربعة دوانيق أو وزن درهم، فأما هذا فقد مات. فلم يقبل أهلوه وتركوه في الحمام حتى تغير فدفنوه، وانعكست حيلته على نفسه.

ذكر أبو الحسين بن برهان: عاد رجل رجلًا مريضًا فقال له: ما علتُك؟ قال: وجع الركبتين، فقال: والله لقد قال جرير بيتًا ذهب مني صدره وبقي عجزه؛ وهو قوله:

وليس لدَاء الرُّكبتينِ طبيب

فقال المريض: لا بشَّرك الله بالخير! ليتك ذكرت صدره ونسيت عجزه!

دخلت مرة على بعض أصدقائي وفيهم مريض العين ومعي بعض المغفلين، فقال له المغفل: كيف عينك؟ قال: تؤلمني، فقال: والله إن فلانًا آلمته عينه أيامًا ثم ذهبتْ. فاستحييتُ واستعجلتُ الخروج.

عن علي بن المحسن عن أبيه قال: بلغنا أن رجلًا أسرع في ماله فبقي منه خمسة آلاف دينار فقال: أشتهي أن يفنى بسرعة حتى أنظر إيش أعمل بعده، فقال له بعض أصحابه: تبتاع زجاجًا بمائة دينار وتبقيه، وتنفق خمسمائة دينار في أجور المغنيات في يوم واحد مع الفاكهة والطعام، فإذا قارب الشراب أن يفنى أطلقت فأرتين بين الزجاج، وأطلقت خلفهما سنورًا، فيتعادون في الزجاج فينكسر، وننهب نحن الباقي، فقال: هذا جيد. فعمل ذلك وجعل يشرب، فحين سكر أطلق الفأرتين والسنور وتكسَّر الزجاج وهو يضحك، فقام الرفقاء وجمعوا الزجاج المكسر وباعوه، قال الذي أشار عليه: فمضيت إليه بعدُ فإذا هو قد باع قماش بيته وأنفقه، ونقض داره وباع سقوفها حتى لم يبق إلا الدهليز وهو نائم فيه على قطن متغطٍّ بقطن، فقلت: ما هذا؟ قال: ما تراه، فقلت: بقيت في نفسك حسرة؟ قال: نعم، أريد أرى المغنية، فأعطيته ثيابًا، فلبسها، فرحنا إليها، فدخل عليها فأكرمته وسألته عن خبره، فحدثها بالحال، فقالت: قم لئلا تجيء ستي فتراك وليس معك شيء فتحرد عليَّ لِمَ أدخلتك، فاخرُج حتى أكلمك من فوق، فخرج وجلس ينتظر أن تخاطبه من الطاقة، فسكبت عليه مرقة سكباج فصيرته فضيحة، فبكى وقال: يا فلان، لا تبلغ من أمري هذا. أشهد الله وأشهد أني تائب، قلت: إيش ينفعك التوبة الآن؟ ورددته إلى بيته وأخذت ثيابي، وبقيت ثلاث سنين لا أعرف له خبرًا، فبينا أنا في باب الطاق يومًا إذ رأيت غلامًا خلف راكب، فلما رآني قال: فلان! فعلمت أنه صاحبي، وأن حاله قد صلحت، فقبلت فخذه فقال: قد صنع الله – وله الحمد – البيت. فتبعته فإذا بالدار الأولى قد رمَّها وجعل فيها

أسبابًا، وأدخلني حجرة أعدها له، وفيها فرش حسان، وأربعة غلمان، وجاء بفاكهة متوسطة وطعام نظيف، إلا أنه قليل، فأكلنا ومد ستارة، فإذا بغناء طيب، فلما طابت نفسه قال: يا فلان، تذكر أيامنا الأول؟ قلت: نعم، قال: أنا الآن في نعمة متوسطة، وما وهب لي من العقل والعلم بأبناء الزمان أحب إلي من تلك النعمة. تذكر يوم عاملتني المغنية بما عاملتني به؟ فقلت: من أين لك هذا المال؟ قال: مات خادم لأبي وابن عم لي بمصر في يوم واحد، فخلفا لي ثلاثين ألف دينار، فحُملت ووصلت إليَّ وأنا بين القطن كما رأيت، فعمرت الدار، واشتريت ما فيها بخمسة آلاف دينار، وجعلت خمسة آلاف تحت الأرض للحوادث، واشتريت عقارًا بعشرة آلاف، وأمري يمشي، وأنا في طلبك منذ سنة لترى رجوع حالي. ومن دوام صلاح حالي ألَّا أعاشرك. أخرجوه يا غلمان، قال: فجروا برجلي وأخرجوني، وكنت ألقاه بعدُ في الطريق، فإذا رآني ضحك.

دخل ربيعة بن عقيل اليربوعي على معاوية فقال: يا أمير المؤمنين، أعنِّي على بناء داري، فقال: أين دارك؟ قال بالبصرة، وهي أكثر من فرسخين في فرسخين، فقال له: فدارك في البصرة أم البصرة في دارك؟

قال ابن سلام: وهب المهدي لبعض ولد يعقوب بن داود؛ وزيره، جارية، فلما كان بعد أيام سأله عنها، فقال: يا أمير المؤمنين، ما وضعت بيني وبين الأرض مطية أوطأ منها حاشا السامع. فالتفت المهدي إلى يعقوب فقال له: مَن ترى؟ يعني أنا وأنت، فقال يعقوب: من كل شيء يتحفظ الأحمق إلا من نفسه.

دخل رجل على المهدي فأنشده شعرًا فقال فيه: «وجوار زفرات.» فقال المهدي: أي شيء زفرات؟ قال: وما تعرفها يا أمير المؤمنين؟ قال: لا والله، قال: فأنت أمير المؤمنين وسيد المرسلين ما تعرفها. أعرفها أنا! كلا والله.

ذكر عن عبد الله بن ظبيان أنه خطب فقال الناس: أكثر الله فينا مثلك، قال: لقد كلفتم ربكم شططًا!

حكى إسحاق بن إبراهيم قال: حضرت جنازة لبعض القبط فقال رجل منهم: مَن المتوفِّي؟ فقلتُ: الله. فضُربتُ حتى كدتُ أموت.

دخل أبو تمام على أبي طالب في صبيحة ليلة باردة فقال له: البارحة نالني البرد، وكان عندي لحاف فيه أربعة أمنان قطن، فطويته طاقين فصار فيه ثمانية أمنان قطن وتغطيت به.

قال أبو سيار: كان بيني وبين جار لي بئر فوقعت فيه فأرة، فبقيت متحيرًا لأجل الوضوء، فقال لي جاري: لا تضيِّق صدرك؛ تعالَ استَقِ من عندنا وتوضأ.

ضاع لرجل ولد فجاءوا بالنوائح ولطموا عليه، وبقوا على ذلك أيامًا، فصعد أبوه يومًا الغرفة فرآه جالسًا في زاوية من زواياها فقال: يا بني، أنت بالحياة؟! أما ترى ما نحن فيه؟ قال: قد علمت، ولكن ها هنا بيض قد قعدت مثل القرقة عليه. ما يمكني أبرح. أريد فريخات. أنا أحبهم. فاطَّلع أبوه إلى أهله فقال: قد وجدت ابني حيًّا، ولكن لا تقطعوا اللطم عليه؛ ألطموا كما كنتم.

كان بعض المغفلين يأكل مع ابنه رأسًا، وكان أبوه أكثر تغفلًا منه، فقال: يا أبة، إن خرج عليك الكعب فأعطني إياه لألعب به، فقال أبوه: سخنت عينك! هو سمك مشوي حتى يكون فيه كعب؟!

قال بعضهم: دخلت الكوفة فرأيت صبيًّا قائمًا عند شق حائط ومعه خبز، وهو يكسر اللقمة ويتركها في شق الحائط ويأكلها، فبينما أنا أنظر إليه إذ أقبل أبوه فرأى ما يفعل فقال: إيش تصنع؟ قال: يا أبة، هؤلاء قد طبخوا سكباجة ويأتي النسيم بريحها فآكل خبزي. فلطمه أبوه وقال: تتعود من صغرك ألَّا تأكل خبزًا إلا بإدام.

رأى بعض المغفلين صديقًا له فقال: طلبتك اليوم عشرين مرة، وهذه الثالثة! ورأى صديقًا له فقال له: أطلبك فإذا وجدتُك تنسل مني كأنك دبق!

مرض بعض المغفلين فدخل عليه طبيب فسأله عن حاله فقال: قد اشتهيت الثلج، فقال: الثلج يزيد في رطوبتك فينقص من قوتك، فقال: أنا أمصُّه وأرمي تفله.

وقف شيخ بباب مسجد والمؤذن يقيم الصلاة، فدخل فرأى المؤذن هيبته وشيبته فسأله أن يصلي بهم، فامتنع، فتقدم المؤذن وصلَّى بهم، فلما فرغ أقبل على الشيخ فقال له: ما منعك أن تصلي بنا فتكسب أجرًا؟ فقال: أنا – وحقك – إذا كنتُ على غير طهارة لم أُصلِّ إمامًا.

حكى عبد الله النوفلي قال: قال مدني: إني أحب رسول الله ﷺ حبًّا لم يحبه أحد مثله قط، قيل: وما بلغ مِن حبِّك له؟ قال: وددتُ أن عمه أبا

طالب أسلم ويُسرُّ النبي بذلك، وأموت كافرًا بدله.

قال: ذهب بصر عمرو بن هذاب، فدخل عليه إبراهيم بن مجاشع فقام بين يديه فقال: يا أبا أسيد، لا تجزعن من ذهاب عينيك وإن كانتا كريمتين عليك، فإنك لو رأيت ثوابهما في ميزانك تمنيت أن يكون الله قد قطع يديك ورجليك، ودقَّ ظهرك، وأدمَى ظلفك، قال: فصاح به القوم، وضحك بعضهم، فقال عمرو: معناه صحيح، ونيته حسنة، وإن كان قد أخطأ في اللفظ.

جاء بعض المغفلين إلى أمه فقال لها: معي قيراطان[١] إلا حبة فأحفظيهما لي، ثم عاد فأخذها فوزنها فقالوا له: نصف دانق. [٢] فجاء وخاصم أمه، فدخل أبوه فقال: لم تخاصمها؟ فقال: أعطيتها قيراطين إلا حبة، فردت علي نصف دانق، فقال أبوه: ما تستحي من الله تخاصم أمك على نقصان حبتين؟

قال أحمق لغلامه: إذا مررنا بالطبيب فذكرني وجع ضرسي حتى أسأله عن الدواء، فقال: يا مولاي، إن كان ضرسك يوجعك فسوف تذكره.

كان بعض الحمقى إذا غضب يقول: الله المستعين.

دخل أحمق على مريض فقال: إذا رأيتم المريض على هذه الحال فاغسلوا أيديكم منه.

دعا بعض الحمقى لبعض الولاة فقال: كتب الله سعادتك، وضاعف عليك العدو.

قيل لكثير: إن الناس محدثون إنك الدجال، فقال: والله لئن قلتم هذا إني لأجد في عيني ضعفًا منذ أيام.

وقال: ضرط أبو النجم في ليلة ضرطتين فخاف أن تكون امرأته قد سمعته، فقال: أسمعت شيئًا؟ قالت: لا، ما سمعت منهما شيئًا، فقال: لعنك الله! فمن أعلمك أنهما اثنتان؟

قال بعضهم: رأيت رجلًا محمومًا مصدعًا يأكل التمر ويجمع النوى فقلت: ويحك! أنت بهذه الحال وتأكل التمر؟ فقال: يا مولاي، عندي شاة ترضع وما لها نوى، فأنا آكل هذا التمر مع كراهيتي له لأطعمها النوى، فقلت: أطعمها التمر والنوى، قال: أوَيجوز ذلك؟ قلت: نعم، قال: والله لقد فرَّجت عني. لا إله إلا الله، ما أحسن العلم!

أُجريتْ خيلٌ فطلع منها فرس سابق، فجعل رجل يثب من الفرح ويكبر، فقال له رجل إلى جانبه: أهذا الفرس لك؟ قال: لا، ولكن اللجام لي.

رأى قبيصة بن المهلب جرادًا يطير فقال لمن حوله: لا يهولنكم ما ترون؛ فإن علامة ذلك موتي.

دخل بعض المغفلين على رجل يعزِّيه بأخ له فقال: أعظم الله أجرك! ورحم أخاك، وأعانه على ما يرِدُ عليه من مساءلة يأجوج ومأجوج. فضحك من حضر وقالوا له: ويحك! يأجوج ومأجوج يسائلان الناس؟ فقال: لعن الله إبليس! أردتُ أن أقول هاروت وماروت.

ماتت امرأة فاشترى لها زوجها كفنًا قصيرًا، فقالت له الغاسلة: الكفن

قصير، فقال لها: ألبسيها خفها.

وعظ بعض القصاص فقال: إذا كان يوم القيامة خرج من النار رأس عظيم مِن صفته كذا وكذا، وفي المجلس رجل يميد من الخوف، فقال له: ما الذي بك؛ أتنكر قدرة الله؟ قال: لا، بلى، إني رجل مزين، فلو كُلِّفت حلق هذه الرأس كيف كنت أعمل؟

سمع بعض المغفلين أن صوم يوم عاشوراء يعدل صوم سنة، فصام إلى الظهر وأكل وقال: يكفيني ستة أشهر.

اعترض الأسد قافلةً فرآه رجل منهم فخرَّ إلى الأرض فركبه الأسد، فشد القوم بأجمعهم على الأسد واستنقذوه، فقالوا له: ما حالك؟ قال: لا بأس علي، ولكن خري الأسد في سراويلي.

دخل بعض المغفلين حمامًا وقد بخر فظن غبارًا فقال للقيم: كم قلت لك لا تغبر يوم أدخل الحمام.

مات لأبي العطوف ابن، فقال للحفار: أضجعه على جنبه الأيسر، فإنه أهضم للأكل.

حضر رجل مع قوم في جنازة رجل فنظر إلى أخ الميت فقال: هذا الميت أم أخوه؟

قال المأمون لمحمد بن العباس: ما حال غلتنا بالأهواز وسعرها؟ قال: أما متاع أمير المؤمنين فقائم على سوقه، وأما متاع أم جعفر فمسترخ، فقال: اغرُبْ لعنك الله!

اشترى لقمان بن مُحَمَّد فروًا فقال: أرى شعره قصيرًا، أترى ينبت؟

قال أبو العيناء: كنت بحمص فمات لجار لي بنتٌ، فقيل له: كم لها؟ قال: ما أدري، ولكنها وُلدت أيام البراغيث.

قال الأصمعي: قلت لرجل: أين كنت؟ قال: ذهبت في جنازة ابن فلان، قلت: فأي ولده كان؟ قال: كانوا اثنين فمات الأوسط.

قال ثمامة: جاءني رجل فقال: رأيت البارحة أمير المؤمنين يسارُّك وأنت تنظر إليَّ، فبالله أي شيء قال لك في أمري؟

حكي أن بعض المغفلين مسك كلبًا وعضَّه فقال: هذا عضني منذ أيام، وأنا أريد أن أخالف قول القائل:

شـــاتمني عبـــد بـــني مســـمع فصـــنت عنـــه الـــنفس والعرضـــا

ولم أجبـــــه لاحتقـــــاري لـــــه ومـــن يعـــض الكلـــب إن عضـــا

قيل لمغفل: قد سُرق حمارك، فقال: الحمد لله الذي ما كنت عليه.

نظر رجل في الجب فرأى وجهه، فعاد إلى أمه فقال: في الجب لص. فجاءت الأم فاطَّلعت فقالت: أي والله ومعه فاجرة.

ذكر رجل بين يدي رجل فقال: إنه رجل سوء، قيل له: من أين علمت؟ قال: أفسد بعض أهلي، قيل: ومن أفسد؟ قال: أمي – صانها الله.

سئل بعضهم عن مولده فقال: ولدت رأس الهلال للنصف من رمضان بعد العيد بثلاثة أيام. احسبوا الآن كيف شئتم.

كتب بعضهم إلى أبيه: كتابي إليك يوم الجمعة عشية الأربعاء لأربعين ليلة خلت من جمادى الأوسط، وأُعلمك أني مرضت مرضة لو كان غيري كان قد مات، فقال أبوه: أمك طالق ثلاثًا، لو مت لما كلمتك أبدًا.

دعا بعض المغفلين فقال: اللهم ارزقني خمسة آلاف درهم حتى أتصدق منها بألفي درهم، وإن لم تصدقني، فادفع إلي ثلاثة آلاف درهم واحبس الباقي، فإن تصدقت وإلا فتصدق بها على مَن شئتَ.

خرج بعض المغفلين من منزله ومعه صبي عليه قميص أحمر، فحمله على عاتقه ثم نسيه فجعل يقول لكل مَن رآه: رأيت صبيًّا عليه قميص أحمر؟ فقال له إنسان: لعله الذي على عاتقك! فرفع رأسه ولطم الصبي وقال: يا خبيث، ألم أقل لك إذا كنت معي لا تفارقني.

نظر بعض المغفلين إلى منارة الجامع فقال: ما كان أطول هؤلاء الذين عمروا هذه! فقال آخر: اسكت ما أجهلك! ترى أنه في الدنيا أحدٌ طول هذه؟ وإنما بنوها على الأرض ثم رفعوها.

قال: ورأيت رجلًا طويل اللحية على حمار يضربه، فقلت: أرفق به، فقال: إذا لم يقدر يمشي فلم صار حمارًا؟!

تفاخر مصري ويمني، فقال المصري: هلكت والله اليمن إذ لم يكن منها رسول الله ﷺ، ولا يدخل الجنة أبدًا أهلها، فقال اليمني: فابن المهلب وأولاده يحاربون عليها حتى يدخلوها بالسيف.

كان بعض المغفلين يقول: اللهم اغفر لي من ذنوبي ما تعلم وما لا تعلم.

قدم رجل من الحمقى فسأله رجل: متى قدمت؟ قال غدًا، قال: لو قدمت اليوم سألتك عن إنسان، فمتى تخرج؟ قال: أمس، قال: لو أدركتك كتبت معك كتابًا.

كان لبعض الأدباء ابن أحمق، وكان مع ذلك كثير الكلام، فقال له أبوه ذات يوم: يا بني، لو اختصرت كلامك إذ كنتَ لستَ تأتي بالصواب! قال: نعم، فأتاه يومًا فقال: من أين أقبلت يا بني؟ قال: من «سوق»، قال: لا تختصر ها هنا. زد الألف واللام، قال: من «سوقال»، قال: قدِّم الألف واللام، قال: من «ألف لام سوق»، قال وما عليك لو قلت «السوق»، فوالله ما أردت في اختصارك إلا تطويلًا.

وقال هذا الولد يومًا لأبيه: يا أبت، اقطع لي جباعة، قال: وما جباعة في الثياب؟ قال: ألست قلت لي اختصر كلامك؟ يعني جبة ودراعة.

اشترى بعض المغفلين نصف دار، فقال يومًا: قد عزمت على بيع نصف الدار الذي لي، وأشتري بثمنه النصف الآخر حتى تصير الدار كلها لي.

كتب بعض المغفلين إلى رجل يعزيه بابنته: بلغني مصيبتك، وما هي بمصيبة، وقد جاء بالخبر عن النبي ﷺ أنه قال: مَن توفيت له بنت كان له من الأجر. ذهَبَ والله عنِّي، ومَن توفيت له ابنتان كان له من الأجر مثل الذي ذهب عني مرتين، وبعدُ، فقد ماتت عائشة بنت النبي ﷺ، فمن ابنتك البظراء حتى لا تموت.

كان محمد بن أبي سعيد سليم الجانب، وقد سمع من أبي الحسين

الطيوري يسأل بعض من يعرف الأدب أن يعلمه شيئًا من العربية، فقال: إذا دخلت على أحد فقل: أنعم الله صباحك، فربما كان يدخل على أحد آخر النهار فيقول: أنعم الله صباحك، فيضحك.

حكى أقضى القضاة الماوردي قال: كنت جالسًا في مجلس مقبلًا على تدريس أصحابي، فدخل علينا شيخ قد ناهز الثمانين – أو جاوزها – فقال لي: قد قصدتك في مسألة اخترتك لها، فقلت: وما هي؟ وظننته يسأل عن حادثة حدثت له، فقال: أيها الشيخ، أخبرني عن نجم إبليس ونجم آدم، ما هما؟ فإن هذين لا يُسأل عنهما لعظم شأنهما إلا علماء الدين، قال: فعجبت منه وعجب مَن في المجلس من سؤاله، وبدر جماعة بالإنكار عليه والاستخفاف به، فكففتهم عنه وقلت: هذا لا يقنع مما ظهر من حاله إلا بجواب مثله، فأقبلت عليه وقلت: يا هذا، إن نجوم الناس لا تعرف إلا بمعرفة موالدهم، فإن ظفرت بمن يعرف ذلك فاسأله، فقال: جزاك الله خيرًا. وانصرف مسرورًا، فلما كان بعد أيام عاد وقال: ما وجدت إلى وقتي هذا من يعرف مولد هذين.

قيل للفضل بن عبد الله: ما لك لا تتزوج؟ قال: إني دفع لي أبي جارية ولأخي، فقيل: ويحك! دفع إليك وإلى أخيك جارية واحدة! قال: وإيش تتعجب من هذا؟! هو ذا جارنا فلان له جاريتان.

قال أبو العنبس: اجتزت في بعض الطريق لحاجة، فإذا امرأة عرضت لي فقالت: هل لك أن أزوجك جارية فيجيئك منها ابن؟ قلت: نعم، قالت: وتدخله الكتاب فينصرف فيلعب فيصعد إلى السطح فيقع فيموت

وصرخت: ويلاه! ولطمتْ، ففزعتُ وقلتُ: هذه مجنونة. وهربت من بين يديها، فرأيت شيخًا على باب فقال: ما لك يا حبيبي! فقصصت عليه القصة، فلما انتهيت إلى موضع لطمها استعظم ذلك وقال: لا بد للنساء من البكاء إذا مات لهن ميت. فإذا هو أحمق منها وأجهل.

قال رجل لآخر: رأيت البارحة أباك في المنام وثيابه وسخة، فقال: قد كفنته أمس في أربعة أثواب جدد، وما ينبغي أن تكون قد اتسخت ثيابه.

وقيل لبعض أهل الموصل: كم بينكم وبين موضع كذا؟ قال: ثلاثة أميال ذاهب وميلين جاي.

قال ثمامة لحاجبه: عجِّل الفراغ مما أمرتك به فقد قصر النهار، فقال: أي والله يا سيدي، والليل أيضًا قد قصر.

دعا بعض المغفلين فقال: اللهم اغفر لأمي وأختي وامرأتي، فقيل له: لم تركت ذكْر أبيك؟ قال: لأنه مات وأنا صبي لم أدركه.

قال عبد الله بن مُحَمَّد: قلت لرجل مرة: كم في هذا الشهر من يوم؟ فنظر إلي وقال: لست أنا والله من هذا البلد.

قال أبو العباس: سألت رجلًا طويل اللحية فقلت: إيش اليوم؟ فقال: والله ما أدري؛ فإني لست من هذا البلد. أنا من دير العاقول.

انكسرت خشبة في سقف بعضهم، فمضى يشتري عوضها، فقيل: كم تريد طولها؟ فقال: سبعة في ثمانية.

قال بعضهم: ولد لي غلام الليلة فسميته باسم خالته.

أصيب بعضهم بمصيبة فقيل له: عظم الله أجرك، فقال: سمع الله لمن حمده.

قال الجاحظ: دخلت الكوفة فبينا أطوف في طرقاها رأيت شيخًا ذا هيبة جالسًا على باب داره، ومن جانب الدار صياح، فقلت له: يا عم، ما هذا الصياح؟ فقال: هذا رجل افتصد فبلغ موضع شاذروانة فمات؛ يريد شريانه.

قال الحجاج بن هارون لصديق يحبه: أنا والله لك مائق؛ يريد: وامق.

شهد رجل عند والٍ فقال: سمعت بأذني (وأشار إلى عينيه)، ورأيت بعيني (وأشار إلى أذنيه) بأنه جاء إلي رجل فتلبب بعنقه (وأشار إلى صدره)، وما زال يضرب خاصرته (وأشار إلى فكه)، فقال له الوالي: أحسبك قد قرأت كتاب خلق الإنسان؟ قال: نعم، قرأته على الأصمعي.

قيل لبعض المغفلين: سأل عنك فلان، فقال: يسأل الله عنه وملائكته.

دخل بعض المغفلين إلى بعض القضاة فجلس بين يديه فقال: أعدمني الله القاضي! مات فلان، والذي ما خلفوا بعدي سواهم، وهو ذا يظلموني إخوتي، نسيباتي تسعة، وهم واحد، وكل يوم يجعلون عمامتي في عنق القاضي يجرونه إلي، فقال القاضي: ليس المُمْتَحَن غيري.

وقال أبو العنبس: صحبني رجل في سفينة فقلت له: ممَّن الرجل؟ فقال: من أولاد الشام، ممن كان جدي من أصدقاء المنصور علي بن أبي سالم؛ شاعر الأنبار الأنباري، وكان من الذين بايعوا تحت الشجرة مع أبي

سالم بن يسار في وقعة الفاروق، أيام قتل الحجاج بن يونس بالنهروان على شاطئ الفرات مع أبي السرايا، قال أبو العنبس: فلم أدر على أي شيء أحسده، على معرفته بالأنساب، أم على بصره بأيام الناس، أم حفظه للسِّيَر.

عزَّى رجل رجلًا بابنه، فقال له في الجواب: رزقنا الله مكافأتك.

قال الحسن بن يسار: قلت لبعضهم: إن فلانًا ليس يَعدُّك شيئًا، فقال: والله لو كنت أنا أنا، وأنا ابن من أنا منه، لكنت أنا أنا، وأنا ابن من أنا منه، فكيف وأنا أنا، وأنا ابن من أنا منه؟

سمع بعض الحمقى قومًا يتذاكرون الموت وأهواله فقال: لو لم يكن في الموت إلا أنك لا تقدر أن تتنفس لكفَى.

قال ثمامة لخادمه: اذهب إلى السوق واحمل كذا وكذا، فقال: يا سيدي أنا ناقة وليس في ركبتي دماغ، فقال ثمامة: ولا في رأسك.

ورُئي أعمى يمشي في الطريق ويقول: يا منشئ السحاب بلا مثال!

دخل رجل على المعتضد فقال: يا أمير المؤمنين، إن فلانًا العامل ظلمني، قال: ومَن فلان؟ قال: والله لا أدري اسمه، ولكن في خدِّه الأيمن خالٌ أو ثؤلول، أو أثر لطمة، أو أثر حرق نار، أو أثر مسمار، أو في خده الأيسر.

وكان له مرة غلام يقال له جرير أو نجم إلا أن في اسمه طاء أو لام. فضحك المعتضد وقال: كأنه موسوس؟ قال: سلني عما شئت حتى

أجيبك، قال: كم إصبع لك؟ قال: ثلاثة أرجل. فأمر بإخراجه، فقال: ما أقول لبنتي إذا دخلت وقد فتحت حجرها لأطرح فيه الجوز يوم العيد؟ فأمر أن يُحمل معه إلى منزله طعام وجائزة.

دخل بعضهم إلى المستراح فأراد أن يحل لباسه، فحل إزاره وخري في لباسه.

حكي أن جماعة من أهل حمص تذاكروا في حديث الأعضاء ومنافعها فقالوا: الأذن للشم، والفم للأكل، واللسان للكلام، فما فائدة الأذنين؟! فلم يتوجه لهم في ذلك شيء، فأجمعوا على قصد بعض القضاة ليسألوه، فمضوا فوجدوه في شغل، فجلسوا على باب داره، وإذا هناك خياط فتل خيوطًا ووضعها على أذنه، فقالوا: قد أتانا الله بما جئنا نسأل القاضي عنه، وإنما خلقت للخيوط. وانصرفوا مسرورين مما استفادوه.

قال الجاحظ: مررت بحمص فمر عنز يتبعه جمل، فقال رجل لرجل معه: هذا الجمل من هذا العنز؟ فقال له: لا، ولكنه يتيم في حجرها.

عرض هشام بن عبد الملك الجند فأتاه رجل حمصي بفرس كلما قدَّمه نفر، فقال هشام: ما هذا؟ فقال الحمصي: ياسيدي، هو جيد، لكنه شبَّهك ببيطار كان يعالجه فنفر.

اجتاز أهل حمص بشيخ لهم لم يكن فيهم أعقل منه ولا أكمل مع ابنين له معروفين عندهم بالعقل والكمال، فأوفدهم إلى الرشيد لمظلمة كانت بهم، فلما وردوا الباب وأذن لهم دخل الشيخ فقال: السلام عليك يا أبا موسى. فعلم أنه أحمق وأمره بالجلوس، ثم قال: يا شيخ، أحسبك قد

طلبت العلم وجالست العلماء؟ قال: نعم يا أبا موسى، قال: مَن جالست من العلماء؟ قال: أبي، قال: وما كان يقول في عذاب القبر، قال: كان يكرهه. فضحك الرشيد ومَن حضر، ثم قال: يا شيخ، من حفر البحار فيما سمعت؟ فسكت الشيخ، فقال أحد ولديه: قد حفرها موسى حين طرق له، قال: فأين طينها؟ فقال الولد الثاني: الجبال، ففرح الشيخ بحسن جواب ولديه، وقال: والله ما علَّمتهما، ما هو إلا إلهام من الله تعالى وله الحمد.

وفد على الرشيد ثلاثة من حمص، فدخل أحدهم فرأى غلامًا على رأسه، فظنه جارية فقال: السلام عليك يا أبا الجارية. فصُفع وأُخرج، فدخل الثاني فقال: السلام عليك يا أبا الغلام. فصُفع وأُخرج، فدخل الثالث فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال له: كيف صحبت هذين الأحمقين؟ قال: يا أمير المؤمنين، لا تتعجب منهم، فإنهم لما رأوك بهذا الزي ورأوا لحيتك طويلة قدروا أنك أبو فلان، فقال الرشيد: أخرجوه – قبَّح الله بلدة هؤلاء خيارهم.

قال بعضهم: رأيت رجلًا ألحى قائمًا في حلقة قاصٍ يقصُّ مقتل عثمان بن عفان، فلما فرغ قال الألحى: أعيذك بالله ما أحسن ما تروي كلام منصور بن عمار!

قال الجاحظ: مررت بمنجد في قنطرة بردان طويل اللحية، وامرأة تطالبه بشيء لها عنده، وهو يقول: رحمك الله، متاعك جاءني يحتاج إلى حشو كثير، وأنت من العَجَلة تمشين على أربع.

قال أبو حاتم: سأل رجل أبا عبيدة عن اسم رجل فقال: ما أعرف اسمه، فقال له بعض أصحابه: أنا أعرف الناس به، اسمه خراش أو خداش أو رياش أو شيء آخر.

خرج عبادة ذات يوم يريد السوق، فنظر في بعض طرقه إلى شيخ طويل اللحية كلما أراد أن يتكلم بادرته لحيته، فمرة يدسها في جيبه، ومرة يجعلها تحت ركبته، فقال له عبادة: يا شيخ، لم تترك لحيتك هكذا؟ قال: فتريد أن أنتفها حتى تكون مثل لحيتك! قال عبادة: فإن الله يقول (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)، وقال ﷺ: «احفوا الشارب واعفوا اللحى.» ومعنى عفو اللحى أن يزال أثرها، فقال الشيخ: صدق الله ورسوله! سأجعلها كما أمر الله ورسوله. فحلق لحيته وجلس في دكانه، فكان كل من رآه وسأله عن خبره قرأ عليه الآية وروى له الحديث.

قيل لمريض: كيف تجدك؟ فقال: أنا علة، قيل: وما معنى علة؟ قال: أليس يقال للصحيح: ليس به علة؟ قالوا: نعم، قال: أنا كما قال، أنا علة.

قيل لرجل: عندك مال وليس لك إلا والدة عجوز، إن مت ورثت مالك وأفسدته، فقال: إنها لا ترثني، قيل: وكيف؟ قال: أبي طلقها قبل أن يموت.

قال أبو الأسود لابنه: يا بني، إن ابن عمك يريد أن يتزوج، ويجب أن تكون أنت الخاطب، فتحفظ خطبة. فبقي الغلام يومين وليلتين يدرس خطبة، فلما كان في اليوم الثالث قال أبوه: ما فعلت؟ قال: قد حفظتها،

قال: وما هي؟ قال: اسمع: الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونتوكل عليه، ونشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الفلاح، فقال له أبوه: أمسكْ، لا تقم الصلاة؛ فإني على غير وضوء.

أسلم رجل ولدَه إلى الكتَّاب، فلما كان بعد حين قال له والده: تعلمت شيئًا من الحساب؟ قال: نعم، قال: فخذ خمسين وخمسين وخمسين، كم تعد؟ قال: أربعين، قال: يا مشئوم، ثلاث خمسينات ما يحصل معك منها خمسين! ثم حبسه عن الكتاب وقال: لا أفلحت.

مرض صديق لحامد بن العباس فأراد أن ينفذ ابنه إليه ليعوده، فأوصاه وقال: يا بني، إذا دخلت فاجلس في أرفع المواضع وقل للمريض: ما تشكو؟ فإذا قال: كذا وكذا، فقل له: سليم، إن شاء الله، وقل له: من يجيئك من الأطباء؟ فإذا قال: فلان، فقل ميمون، وقل: ما غداؤك فإذا قال: كذا وكذا، فقل: طعام محمود. فذهب فدخل على العليل، وكان بين يديه منارة فجلس عليها لارتفاعها، فوقعت على صدر العليل فأوجعته، ثم قال للمريض: ما تشكو؟ فقال: أشكو علة الموت، فقال: سليم إن شاء الله، فمن يجيئك من الأطباء؟ قال: ملك الموت، قال: مبارك ميمون، فما غداؤك؟ قال: سم الموت، قال: طعام طيب محمود.

تقدم رجل إلى معلم ابنه فسأله ألا يعلمه سوى النحو والفقه، فعلمه مسألتين من النوعين «ضرب زيد عمرًا» ارتفع زيد بفعله، وانتصب عمرو بوقوع الفعل عليه، والأخرى من الفقه «رجل مات وخلف أبويه؛ فلأمه الثلث، ولأبيه الباقي» فقال له: أفهمت؟ قال: نعم. فلما انصرف إلى

البيت قال له أبوه: ما تقول في «ضرب عبد الله زيدًا؟» قال: أقول ارتفع بفعله، وما بقي للأب.

كان لبعض التجار المياسير ابنٌ أبْلَه، فقضي أن صار الأب إلى حانوته يومًا فوجد اللصوص قد أخذوا صندوقًا له كان فيه صامت كثير، وأسباب جميلة، فجلس الرجل والناس يعزونه ويدعون له بالخلف، فبينما هم كذلك إذ أقبل ابنه، فلما قرب من حانوت أبيه ورأى الناس سأل عن الخبر، فقالوا: دخل اللصوص حانوت أبيك وأخذوا الصندوق الذي كان فيه ما كان. فضحك وقهقه وقال: لا بأس، ما فاتنا شيء. فظن الناس أنه خبأه أو يعرف خبره، فأسرعوا إلى أبيه فبشروه بأن ابنه قال كذا، فقال له أبوه: ما الخبر؟ وأي شيء عندك في هذا الأمر؟ قال: مفتاح الصندوق عندي، فلا يقدرون أن يفتحوه، فقال أبوه: عجبت والله أن يكون عندك فرح.

قال بعضهم: دخلت على نصر الرصيفي في منزله فإذا ابنه يصايحه في شيء وقد ارتفعت أصواتهما، فقلت: ما هذا؟ فقال: هذا يزعم أن علي بن أبي طالب هاشمي، فقلت أنا: بل علوي، فاحكم بيننا، فقلت أنا: هو علوي. ألا ترى إلى اسمه «علي»؟ فقال لي: ابصق في وجهه؟ فقلت: كلاكما يستحق ذلك.

كان بسجستان شيخ يتعاطى النحو، وكان له ابن، فقال لابنه: إذا أردت أن تتكلم بشيء فاعرضه على عقلك وفكر فيه بجهدك حتى تقوّمِه، ثم أخرج الكلمة مقومة، فبينما هما جالسان في بعض الأيام في الشتاء والنار تتقد وقعت شرارة في جبة خز كانت على الأب وهو غافل والابن

يراه، فسكت ساعة يفكر ثم قال: يا أبت، أريد أن أقول لك شيئًا فتأذن لي فيه؟ قال أبوه: إن حقًّا فتكلم، قال: أراه حقًّا، فقال: قل، قال إني أرى شيئًا أحمر، قال: وما هو؟ قال: شرارة وقعت في جبتك. فنظر الأب إلى جبته وقد احترق منها قطعة، فقال للابن: لم لم تعلمني سريعًا؟ قال: فكرت فيه كما أمرتني، ثم قومت الكلام وتكلمت فيه، فحلف أبوه بالطلاق ألَّا يتكلم بالنحو أبدًا.

دق رجل باب دار نحوي فقال: من ذا؟ فقال: أنا الذي أبو عمرو الجصاص عقد طاق باب هذه الدار، فقال النحوي: ما نرى لك في صلة الذي شيئًا؛ فانصرف راشدًا.

جاءت امرأة إلى جارة لها تستعير منها إزارًا لتمضي في حاجة وترده من ساعتها، فقالت: قد غزلت من إزاري عشرة أساتير؛ فاصبري حتى أتمَّ غزله وأُسلمه إلى الحائك ويفرغ منه وأعطيك إياه، ولا تمرِّي بمسمار، فإنه جديد.

وقالت امرأة لأخرى: اليوم مشيت إلى قبر أحمد فدخل في رجلي مسمار، فقالت لها: وكان الخف الجديد في رجلك؟ قالت: لا، قالت لها: فاحمدي الله.

قال بعضهم: مررت بسوق وقد اجتمع فيه قوم على رجل يضربونه، فقلت: ما ذنب هذا؟ قالو: شتم معاوية بن أبي سفيان؛ صديق النبي ﷺ ومَن صلى معه أربعين سنة على طُهر واحد، وكان من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان، وسُمي خال المؤمنين؛ لأنه كان أخا حواء من أمها وأبيها.

قال بعضهم: مررتُ على قوم قد اجتمعوا على رجل يضربونه، فتقدمت إلى شيخ كان يجيد قتله، فقلت: يا شيخ، ما قصة هذا؟ قال: لا تكونن منهم؛ هذا رافضي يقول نصف القرآن مخلوق ونصفه لا، وليس في القوم خير من النبي ﷺ، وبعده الخضر. فبادرني الضحك فرددتُه مخافة الضرب وقلت: يا شيخ، زِدْه؛ فإنك مأجور.

قال: ومررت بقوم قد اجتمعوا على رجل يضربونه، فقلت لرجل يجيد ضربه: ما حال هذا؟ قال: والله ما أدري ما حاله، ولكني رأيتهم يضربونه فضربته معهم لله – عز وجل – وطلبًا للثواب.

قال بعضهم: رأيت رجلًا يبيع الرمان في الأسواق ويطعمه أهل سوقه، ويسألونه عن مسائل تقع لهم في الفقه، وهو يكنى أبا جعفر، فجاءته امرأة فقالت: يا أبا جعفر، مريم بنت عمران كانت نبية؟ قال: لا يا غافلة، قالت: وإيش كانت؟ قال: من الملائكة.

قال الجاحظ: دخلت واسط فبكَّرت يوم الجمعة إلى الجامع فقعدت، فرأيت على رجل لحية لم أر أكبر منها، وإذا هو يقول لآخر: الزم السُّنة حتى تدخل الجنة، فقال له الآخر: وما السُّنة؟ قال حب أبو بكر بن عفان، وعثمان الفاروق، وعمر الصديق، وعلي بن أبي سفيان، ومعاوية بن أبي شيبان، قال: ومن معاوية بن أبي شيبان؟! قال: رجل صالح من حملة العرش، وكاتب النبي ﷺ، وختنه على ابنته عائشة.

قال بعضهم: مررتُ على قوم اجتمعوا على رجل يضربونه، فقلت لشيخ منهم: ما ذنب هذا؟ قال: يسب أصحاب الكهف، قلت: ومَن

أصحاب الكهف؟ قال: لست مؤمنًا، قلت: بلى، ولكني أحب الفائدة، قال: أبو بكر وعمر ومعاوية بن أبي سفيان، ومعاوية هذا رجل من حملة سرادق العرش، فقلت له: يعجبني معرفتك بالأنساب والمذاهب، فقال: نعم، خذ العلم عن أهله، فقال واحد منهم لآخر: أبو بكر أفضل أم عمر؟ قال: لا، بل عمر، قال: وكيف علمت؟ قال: لأنه لما مات أبو بكر جاء عمر إلى جنازته، ولما مات عمر لم يجيء أبو بكر لجنازته.

مرض بعض المغفلين فأُتي بطبيب، فقال الطبيب: إذا كان غدًا فاحفظوا البول حتى أجيء وأنظره. فلما خرج الطبيب من عنده بقي لا يبول إلى الغد، فلما جاء الطبيب قال له المريض: يا عبد الله، قد كادت مثانتي تنشق من إحباسي البول، فلماذا تأخرت؟ فقال: إنما أمرتك أن تحفظ البول في إناء، فلما كان الغد جاء الطبيب فإذا هو قد أخذ برنية خضراء، فقال الطبيب: ما هذا؟ أخطأتَ. ألم يكن في الدنيا شيء من الزجاج؛ كنت تأخذ في قارورة أو في قدح؟ فلما كان من الغد أخذ البول في قدح من الخشب فعرضه عليه فقال له: أنت في حرج، ألا نظرت إلى هذا الماء، فاصدقني في أمري: هل يُخاف عليَّ من هذه العلة؟ قال: أمَا إذ حلفتني فلا بد لي أن أقول أنا خائف أن تموت من هذا العقل لا من هذه العلة.

دخل بعض الحمقى من الأطباء على عليل، فشكا إليه العليل ما يجد، فقال: خذ مثل رأس الفأرة كلنجبين، وصب عليه مقدار محجمة ماء واضربه حتى يصير مثل المخاط واشربه، فقال العليل: قمْ لعنك الله! فقد قزرتَ إليَّ كل دواء في الأرض.

كان طبيب أحمق قد أعطى رجلًا من جيرانه شربة فأقامته قيامًا حتى مات منه، فجاء الطبيب يتعرف خبره فوجده قد مات فقال: لا إله إلا الله، مِن شربةٍ! ما كان أقواها! لو عاش ما كان يحتاج إلى أن يشرب الدواء سنة أخرى.

سرقت ثياب رجل من الحمام فخرج عريانًا وعلى باب الحمام طبيب أحمق، فقال له: ما قصتك؟ فقال: سرقت ثيابي، قال: بادر وافتصد تخفَّ عنك حرارة الغم.

أصيب بعضهم بأمه فقعد يبكي ويقول: يا أمي، أماتني الله قبلك. أمي زانية إن لم تدخل الجنة لا دخلتها امرأة أبدًا.

مات ولد لرجل فقيل له: ادع فلانًا يغسِّله، فقال: لا أريد؛ لأن بيني وبينه عداوة فيعنف بابني في الغسل حتى يقتله.

اجتمع رجلان في طريق الحج فقال أحدهما للآخر: كم قد حججت؟ قال: مع هذه التي نحن فيها واحدة.

ماتت جارية لرجل فلما دفنها قال: لقد كنت تقومين بحقوقي فلأكافئنك؛ اشهدوا عليَّ أنها حرة.

وقفت سائلة على باب قوم فقال لها رجل: اذهبي يا زانية، فقالت: إذا لم تعطني فلم تَسبُّني؟! قال: والله ما أردت بهذا إلا الخير، أردت أن تؤجري وآثم.

حكي أن بعض المغفلين اشترى بقطعة شيرجًا فامتلأت الغضارة، فقال

البقال: قد بقي لك من الشيرج، في أي شيء تأخذه؟ فقلب الغضارة وقال: في هذه. وأشار إلى كعبها، فطرح البقال الباقي في ذلك الكعب، فأخذه الرجل ومضى، فلقيه رجل فقال: بكم اشتريت هذا الشيرج؟ فقال: بقطعة، فقال: هذا القدر فقط؟! فقلبها وقال: هذا أيضًا.

كان لرجل على رجل أربعة دراهم فجاء يومًا يقتضيه، فقال: غدًا أعطيك، فقال: لا أذهب حتى تحلف لي أنك تعطينيها غدًا، فحلف له: إنك إن جئت لا تذهب إلا وهي معك، وأشهد عليه بذلك ومضى، فجاء من الغد فقال له: ما عندي شيء، وإنما حلفت أنك لا ترجع إلا وهي معك؛ أعني لحيتك. فأشهد عليه بهذا القول، وذهب إلى الحجام وحلق لحيته وجاء إليه، وما برح حتى أخذ دراهمه.

وقال قوم لغلام: املأ بيت الماء. فنقل ماء كثيرًا وأبطأ عليهم، فقالوا: ما هذا الإبطاء؟ فصعدوا إليه فإذا به يقلب الماء في بيت الماء، فقال: كلفتموني أن أملأ هذا وما أظنه يمتلئ في شهر.

حكى لي بعض أصدقائنا قال: كان عندنا رجل اتُّهم بسرقة فأخذ وجرت له قصة، فجاءني بعد أيام فقال لي: عندك الخبر؟ مضيت إلى المنجم فأعطيته قطعة، فحسب لي وقال: والله إنك بريء مما قد اتُّهمت به، وإنك ما سرقت شيئًا.

رأى بعضهم جنازة قد أقبلت فقال: ربي وربك الله، لا إله إلا الله، فقال آخر: أخطأتَ، إذا رأيت جنازة فقل: اللهم ألبسنا العافية. فتشاجرا في ذلك فاحتكما إلى آخر فقال: إذا رأيتم جنازة فقولوا: سبحان الله من

يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته!

قال منجم لرجل من أهل طرسوس: ما نجمك؟ قال: «التيس.» فضحك الحاضرون وقالوا: ليس في النجوم والكواكب تيس، قال: بلى، قيل لي وأنا صبي منذ عشرين سنة: نجمك «الجدي»، فلا شك أنه قد صار تيسًا منذ ذلك الوقت.

كان لبعض الكتاب غلام، فأمسى السيد عند بعض أصدقائه فقال للغلام: اذهب إلى البيت هات شمعة، فقال: يا سيدي، أنا لا أجسر أذهب وحدي في هذا الوقت، فأحبُّ أن تقوم معي حتى أحمل الشمعة وأجيء معك.

وقال رجل لغلام: هات نارًا وأشعلها، قال: يا مولاي، لأي شيء تريد النار؟ قال: أريد أتخذ عصيدة، فقال: يا مولاي، لقمني حتى أجيء بالعجلة.

لكَم رجلٌ رجلًا فصاح: أدميتني! فلم ير دمًا فقال: أين الدم؟ فقال: أنا أرعف من داخل.

وقع رجلان على قافلة فيها ستون رجلًا فأخذوا مالهم وثيابهم، فقيل لبعضهم: كيف غلبكم رجلان وأنتم ستون؟ فقال: أحاط بنا واحد وسلبنا الآخر؛ كيف نعمل؟

كلم رجل رجلًا بشيء يغضبه فقال: أتقول لي هذا وأنا رجل من الأنصار؟ قال له: النصارى واليهود عندنا في الحق سواء.

عن ابن الرومي قال: قال طبيب لتلميذه: إذا دخلت إلى مريض فانظر إلى أثر ما عنده من طعام أو شراب، فانهه عما لا يصلح من ذلك. فدخل الغلام يومًا على مريض فنظر إلى حداجة جمل في الدار فقال للمريض: أنا والله لا أصف لك دواء، قال: ولِمَ؟ قال: لأنك قد أكلت جملًا، قال: لا والله ما أكلت جملًا قط، فقال: هذه الحداجة من أين؟

عن إبراهيم بن القعقاع: انتبه قوم ليلة في رمضان وقت السحور فقالوا لأحدهم: انظر هل تسمع أذانًا. فأبطأ عنهم ساعة ثم رجع فقال: اشربوا؛ فإني لم أسمع أذانًا إلا من مكان بعيد.

كتب رجل من آل أبي رافع على خاتمه: أنا فلان بن فلان، رحم الله من قال آمين.

مرض رجل مرة، فلما اشتد به المرض أمر بجمع العيدان والطنابير والمزامير إلى بيته، فأنكروا عليه ذلك فقال: إنما فعلت ذلك لأني سمعت أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه شيء من آلات الملاهي والفجور، فإن كان ملك الموت من الملائكة دفعته عني بهذه الأشياء.

غصب رجل رجلًا شيئًا وتصدَّق به، فقيل له في ذلك، فقال: أخذي إياه سيئة، وصدقتي به عشر حسنات، فمضت واحدة وبقيت لي تسع.

سئلت امرأة عن حرفة زوجها فقالت: متولي إخراج المساكين من المسجد الجامع، وقد أرجعت له المقصورة.

قيل لبعضهم: كلْ، قال: ما بي أكل؛ لأني أكلت قليل أرز فأكثرت منه.

جاء قوم إلى رجل من الوجوه يسألونه كفنًا لجاريةٍ له ماتت فقال: ما عندي شيء، فتعودون؟ قالوا: فنُملِّحها إلى أن يتيسر عندك شيء.

سئل بعض المشايخ المغفلين: أتذكر أن حج الناس في رمضان؟ ففكر ساعة ثم قال: بلى، أظن مرتين أو ثلاثة.

قيل لمغفل: كيف دمَّلك؛ سكَن وجعه؟ قال: والله ما أرى. اسألوا أمي.

قال بعض الناس لمملوكه: اخرج وانظر هل السماء مصحية أو مغيمة، فخرج ثم عاد فقال: والله ما تركني المطر أنظر هل هي مُغيمةٌ أم لا.

قال بعضهم لآخر وكان أحمق: المستشار مؤتمن، وأني أريد أن أغسل ثيابي غدًا، أفترى تطلع الشمس أم لا؟

جاء رجل إلى أبي حكيم الفقيه وأنا حاضر، ومع الرجل ابنته ليزوجها من رجل، فقال له الشيخ: أبِكْرٌ ابنتك أم ثيب؟ فقال: والله يا سيدي ما هي لا بكر ولا ثيب، ولكنها وسطة، فقال الشيخ: فإيش هي؛ عوان بين ذلك؟ فضحك الجماعة وذلك الوالد لا يدري.

عن أبي مُحَمَّد بن معروف قال: كان يلزمني فتًى نصرانيٌّ حسن الخط، مليح الشعر، إلا أنه كان سوداويًّا فحكم لنفسه أنه يموت في اليوم الفلاني، فجاء ذلك اليوم وهو صحيح، فخاصم امرأته وترقى الشر بينهما إلى أن أخذ عمود الهاون ودقَّ به رأسها فماتت، فجزع جزعًا شديدًا فقال: قد علمت أنه يوم قطع علي، ولا بد أن أموت فيه، والساعة يجيء أصحاب الشرطة فيأخذوني فيقلتوني، فأنا أقتل نفسي عزيزًا أحب إليَّ، فأخذ سكينًا

فشق بها بطنه فأدركته حلاوة الحياة فلم يتمكن من تخريقها، فسقطت السكين، فقال: هذا ليس بشيء. فصعد إلى السطح فرمى نفسه إلى الأرض فلم يمت واندقت عظامه، فجاء صاحب الشرطة فأخذوه، فلما كان آخر الليل مات.

عن أبي الحسن علي بن نظيف المتكلم قال: كان يحضر معنا ببغداد شيخ، فحدثنا أنه دخل على بعض من كان يعرفه بالتشيع، قال: فوجدته وبين يديه سنور وهو يمسحها ويحكُّ بين عينيها ورأسها، وعيناها تدمعان – كما جرت عادة السنانير – وهو يبكي بكاء شديدًا، فقلت له: لمَ تبكي؟ فقال: ويحك! ما ترى هذه السنور تبكي كلما مسحتها. هذه أمي لا شك، وإنما تبكي حسرة من رؤيتها إليَّ، قال: فأخذ يخاطبها بخطاب من عنده ظانًّا أنها تفهم عنه، وجعلت السنور تصيح قليلًا قليلًا، فقلت له: فهي تفهم عنك ما تخاطبها به؟ قال: نعم، فقلت له: أتفهم أنت عنها خطابها؟ قال: لا، قلت: فأنت إذن الممسوخ وهي الإنسان.

قال الجاحظ: مررت يومًا بقطان في الكرخ في دكانه وعليه لحية طويلة، وقميص جديد غليظ، وكان يومًا صائفًا شديد الحر، فتعجبت منه، فقال لي: ما وقوفك – أعزك الله؟ قلت: أتعجب من صبرك على هذا القميص الجديد في هذا الحر الشديد! قال: صدقت – أعزك الله – عندي غزل كثير، وعزمي أن أسلم منه إلى الحائك قميصًا خلقًا أتخفف به طول هذه الصيفية، فقلت: الصواب ما رأيت.

وقال: دخلت يومًا على بعض إخواني من التجار أعوده، وكان طويل

اللحية، فقلت له: ما أكلت؟ فقال شووا لي خاسرة وأكلت؛ يعني خاثرة.

وقال: أخبرت عن الأصمعي قال: عرض الرشيد خيل مصر فما مر به فرس إلا وعليه سمة (نتاج الفخر الجنيدي) فقال: ويلكم من هذا الجنيدي الذي له كل هذا النتاج؟ وأمر بإشخاصه، فكتب إلى عامل مصر فأشخصه، فلما دخل عليه نظر إليه من أول الدار، فإذا عليه لحية قد أخذت لسرته طولًا، ولآباطه عرضًا، وإذا هو مستعجل في مشيه ينظر إلى أعطافه، فلما رآه قال: أحمق ورب الكعبة. فلما دنا منه قال: يا جنيدي، من أين لك هذه الخيل؟ قال: من رزق الله وأفضاله. فلما رآه هالكًا قال: ما أحسن لحيتك يا جنيدي، قال: اقبلها، يا أمير المؤمنين، خلعة لك، والخيل معك فبك فداهما الله، فإن قدرك عندي أعظم القدور، وكرامتك عندي عزيزة جدًّا. فصاح به: اغرب عليك لعنة الله! ثم قال: أخرجوه؛ فقد أسمعني كل مكروه. لعن الله هذا وخيله معه!

قال ابن قتيبة: حدَّث جار لأبي حية النميري قال: كان لأبي حية سيف ليس بينه وبين الخشبة فرق، وكان يسميه لعاب المنية، قال: فأشرفت عليه ليلة وقد انتضاه وهو واقف على باب بيت في داره وقد سمع حسًّا وهو يقول: أيها المغتر بنا، والمجترئ علينا، بئس والله ما اخترت لنفسك! خير قليل، وسيف صقيل، لعاب المنية الذي سمعت به، مشهورة ضربته، لا تخاف نبوته. اخرج اخرج بالعفو عنك، لا أدخل بالعقوبة عليك. إني والله أن أدع قيسًا تملأ الفضاء خيلًا ورَجلًا. يا سبحان الله، ما أكثرها وأطيبها! ثم فتح الباب فإذا كلب قد خرج، فقال: الحمد لله الذي مسخك كلبًا وكفاني حربًا.

قال الفضل بن مرزوق: أتدرون لأي شيء كثر مالي؟ قالوا: لا، قال: لأني سميت نفسي بيني وبين الله مُحَمَّد، وإذا كان اسمي عند الله محمدًا، فما أبالي ما قال الناس.

عن المزرودي قال: اشترى أحمد الجوهري كساء أبيض طبريًّا بأربعمائة درهم، وهو عند الناس فيما تراه عيونهم قوهي يساوي مائة درهم، قال: إذا علم الله أنه طبري فما عليَّ من الناس.

قال الجاحظ: كان أبو خزيمة يكنى «أبا جاريتين»، فقلت له يومًا: كيف اكتنيت بهذه الكنية وأنت فقير لا تملك جاريتين؟ أفتبيعهما الساعة بدينار وتكنى أي كنية شئت؟ قال: لا والله ولا بالدنيا وما فيها.

وقال عن ثمامة بن أشرس قال: كان رجل يقوم كل يوم فيأتي دالية لقوم، فلا يزال يمشي مع رجال الدالية على ذلك الجزع ذاهبًا وجائيًا في شدة البرد والحر، حتى إذا أمسى نزل إلى النهر فتوضأ وصلى وقال: اللهم اجعل لي من هذا فرجًا ومخرجًا. ثم انصرف إلى البيت، فكان كذلك حتى مات.

قال: وحدثني يزيد؛ مولى إسحاق بن عيسى، قال: كنا في منزل صاحب لنا إذ خرج واحد منا ليقيل في البيت الآخر، فلم يلبث ساعة حتى سمعناه يصيح: أواه! فنزلنا بأجمعنا إليه فزعين(٣) وقلنا: ما لك؟ ما لك؟ وإذا هو على شقه الأيسر وهو قابض بيده على خصيتيه، فقلنا له: لم صحت؟ قال: إذا غمزت خصيتي اشتكيتها، وإذا اشتكيتها صحت، فقلنا: لا تغمزها، قال: نعم، إن شاء الله، جزاكم الله خيرًا.

قال وحدثني ثمامة قال: مررت يومًا وإذا شيخ أصفر كأنه جرادة، وزنجي يحجمه قد مص دمه حتى كاد يستفرغه، فقلت: يا شيخ، لم تحتجم؟ قال: لمكان هذا الصفار الذي بي.

كان لرجل من أصدقائنا غلام فأعطاه قطعًا ليشتري بها شيئًا، وكان فيها قطعة رديئة، فقال له: يا سيدي، هذه ما يأخذها الرجل، فقال: اجتهد أن تصرفها كيف اتفق. فلما اشترى وجاء قال: وقد صرفتها، قال: كيف فعلت؟ قال: تركته يزن الذهب وتغفلته فرميتها في ميزانه.

حكى لي بعض إخواننا أن رجلًا أتى مفسر المنامات فقال: رأيت كأن معي رجلين ونحن نمضي إلى فلان في حاجة، فقال له: أتعرف الرجلين؟ قال: أعرف أحدهما، ومنزله في باب البصرة، فأريد أسأل صاحبي عن ذلك الرجل الآخر.

سمع رجل في زماننا قومًا يتكلمون في القرآن ويقول بعضهم: ليس بقديم، فقال: ما أبله هؤلاء! قد تكلم الله بالقرآن منذ خمسمائة سنة، فكيف لا يكون قديمًا؟

اشترى رجل في زماننا من بقال رطلين دبسًا، فأعطاه طاسًا ليجعله فيها، فغرف بالطاسة من التغار وترك صنجة الرطلين، فلما رآها ترجح صبَّ من الدبس، ثم أعادها إلى الميزان فرجحت، فجعل يصب ثم يعيدها وهي ترجح، فقال لصاحبها: ما أرى يبقى لك شيء، فقال له صاحبها: هذه الطاسة فيها ثلاثة أرطال، فإن أردت أن تستوي الميزان فاكسر من جانب الطاسة وإلا ما تستوي.

قرأت بخط بعض المغفلين وقد نظر في كتاب ثم كتب عليه: نظرت في هذا الكتاب والأقوات رخيصة، والكارة السميد تساوي دينارًا ودانقًا، والخشكار بثمانية عشر قيراطًا، فالله تعالى يديم ذلك.

وكتب آخر على كتاب: نظر فيه فلان ابن فلان، وأنا من ولد داود بن عيسى بن موسى، وموسى هو أخو السفاح.

حدثني بعض إخواني أنه كان بتكريت، وأن رجلًا اشترى من خباز مائتين وعشرين رطلًا من الخبز بدينار، ثم كان يأخذ كل يوم شيئًا إلى أن تحاسبا يومًا فقال: قد أخذت مائة وعشرين رطلًا وبقي لك مائة وعشرون، فقال له: اندر هذه بهذه وأعطني الدينار. فجعل الرجل يستغيث ويقول: كيف أفعل بهذا؟ فيقول: أليس لك عندي مائة وعشرون ولي عندك مائة وعشرون؟ فيقول: بلى، فيقول: اندر هذه بهذه وأعطني الدينار، فاجتمع الناس عليهم على ذلك إلى أن رُفعت قصتهم إلى الأمير.

رجع بعض القريشيين إلى امرأته، وكانت قريشية، وقد حلقت شعرها، وكانت أحسن النساء شعرًا، فقال: ما خطبك؟ فقالت: أردت أن أغلق الباب فلمحني رجل ورأسي مكشوف فحلقته، وما كنت لأدع شعرًا رآه مَن ليس لي بمحرم. ومثلُ هذا بلغني عن بعض القصاص أنه قال لأصحابه: احلقوا اللحى التي تنبت في مواقف الشيطان.

حدثني بعض العلماء أن رجلًا مغفلًا نظر في المصحف فقال: قد وجدت فيه غلطتين فأصلحوها، قالوا: وما هي؟ قال: (كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ). هذا غلط، إنما يجب أن يكون «كل بناء وجصَّاص»، والأخرى (وَالتِّينِ

وَالزَّيْتُونِ)، إنما هي «والجبن والزيتون.»

حدثني بعض الأصدقاء أن رجلًا وقف بباب داره يوم الجمعة والمطر يأتي سيلًا، فقال لرجل من المارِّين: يا أخي، هو ذا الذي يجيء مطر؟ فقال له: أما ترى؟ فقال: أردت أن أقلد غيري في انقطاعي عن الجمعة ولا أعمل بعِلْمي.

وروى أبو بكر الصولي عن إسحاق قال: كنا عند المعتصم فعرضت عليه جارية فقال: كيف ترونها؟ فقال واحد من الحاضرين: امرأتي طالق إن كان الله – عز وجل – خلق مثلها، وقال الآخر: امرأتي طالق إن كنت رأيت مثلها، وقال الثالث: امرأتي طالق. وسكت، فقال المعتصم: إن كان ماذا؟ فقال: إذا كان لا شيء، فضحك المعتصم حتى استلقى وقال: ويحك! ما حمَلك على هذا؟ قال: يا سيدي، هذان الأحمقان طلقا لعلَّة، وأنا طلقت بلا علة.

قيل لبعض البله وكان يتحرى من الغيبة: ما تقول في إبليس؟ فقال: أسمع الكلام عليه كثيرًا، والله أعلم بسريرته.

حكى لي بعض الإخوان أن بعض المغفلين كان يقود حمارًا، فقال بعض الأذكياء لرفيق له: يمكنني أن آخذ هذا الحمار ولا يعلم هذا المغفل؟ قال: كيف تعمل ومقوده بيده؟ فتقدم فحل المقود وتركه في رأس نفسه وقال لرفيقه: خذ الحمار واذهب. فأخذه ومشى ذلك الرجل خلف المغفل والمقود في رأسه ساعة، ثم وقف فجذبه فما مشى، فالتفت فقال: أين الحمار؟ فقال: أنا هو، قال: وكيف هذا؟! قال: كنت عاقًّا لوالدتي

فمُسختُ حمارًا، ولي هذه المدة في خدمتك، والآن قد رضيت عني أمي فعدت آدميًّا، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وكيف كنت أستخدمك وأنت آدمي؟ قال: قد كان ذلك، قال: فاذهب في دعة الله. فذهب ومضى المغفل إلى بيته فقال لزوجته: أعندك الخبر؟ كان الأمر كذا وكذا، وكنا نستخدم آدميًّا ولا ندري، فبماذا نكفِّر وبماذا نتوب؟ فقالت: تصدَّق بما يمكن. قال: فبقي أيامًا ثم قالت له: إنما شغلك المكاراة فاذهب واشتر حمارًا لتعمل عليه، فخرج إلى السوق فوجد حماره يُنادى عليه، فتقدم وجعل فمه في أذنه وقال: يا مدبر، عدتَ إلى عقوق أمك.

ماتت قريبة لأبي منصور بن الفرج، وكان رئيسًا، فاجتمع الناس على اختلاف طبقاتهم لقضاء حقه، وخرجت الجنازة، وجعل النساء يلطمن ويقلن: وا سِتَّاه! وا ستَّاه! على ما جرتْ به العادة، فأنكر زوج المرأة هذا وقال: لا ستَّ إلا الله. وصاح عليهن، فضحك الناس وصار المقام هزلًا بعد الحزن.

دخل على موسى بن عبد الملك يومًا صاحب خزانة السلاح فقال له: قد تقدم أمير المؤمنين – يعني المتوكل – ليبتاع ألف رمح طول كل رمح أربعة عشر ذراعًا، فقال: هذا الطول، فكم يكون العرض؟ فضحك الناس ولم يفطن لما غلط فيه.

قال المبرد: قرأ ابن رباح بحضرة المنتصر كتاب الصدقات فقال: في كل ثلاثين بقرة تبيع، فقال المنتصر: ما التبيع، فقال أحمد بن الخصيب: البقرة وزوجها.

سمع أحمد بن الخصيب مغنية تغني:

إنَّ العُيــونَ الــتي في طَرْفِهــا مَــرَض   قَتَلْنَنــــا ثم لم يُحيــــينَ قَــــتْلانا

فقال: هذا الشعر لأبي.

كان سهل بن بشر ممن ارتفع في الدولة الديلمية – وكان رقيعًا – فشتم فرَّاشًا – فردَّ عليه، فقام يعدو خلفه، فوقعت عمامته، فأخذها سهل وما زال يعضها ويخرقها ويقول: اشتفيت والله. ثم عاد إلى مكانه.

شهد رجل عند بعض القضاة على رجل، فقال المشهود عليه: أيها القاضي، تقبل شهادته ومعه عشرون ألف دينار ولم يحج إلى بيت الله الحرام؟ فقال: بلى حججت، قال: فاسأله عن زمزم، فقال: حججت قبل أن تحفر زمزم فلم أرها.

قال أبو الحسن بن هلال الصابي: أحضر إنسان بناء لمشاهدة حائط في داره قد عاب، فاتفق أن أمه تغسل الثياب، فأخرج إلى البنَّاء ترابًا من تراب ذلك الحائط في طشت وقال: ما يمكن أنك اليوم تدخل، فهذا من ترابه، فانظر إليه واعرف ما يريد، فقال: أنا أرجع إليك غدًا. فضحك منه وانصرف.

قال: وكان في جوارنا فقيه يعرف بالكشفلي من الشافعيين تقدَّم في العلم حتى صار في رتبة أبي حامد الإسفراييني، وقعد بعد موته مكانه، قال: فأُهديت إليه عمامة عريضة قصيرة من خراسان، فقلت له: أيها الشيخ، اقطعها والفِقْها ليُمكنك التعمُّم بها. فلما كان من الغد رأيتها على رأسه أقبح منظر، فتأملتها، وإذا به قد قطَعها عرضًا ولفَّقها، فصار عرضها أربعة

عشر شبرًا، وطولها نصف ما كان، فتعجَّبت منه ولم أراجعه.

أخبرني عيسى اللحام قال: جاءني رجل له منظر ليشتري مني أَلْية، فأخرجت له أَلْية صغيرة، فقال لي: أتهزأ بي؟! هذه أَلْية البقر، وأنا أريد أَلْية الضأن، فقلت له: ليس للبقر أَلْية، فقال: حدِّث بهذا غيري ولا تستبلهني. فطالعت له غيرها فأعجبته ورضي بها.

وقع جرف في بعض السنين فقال بعض المغفلين: مات في هذه السنة من لم يمت قط!

(هذا آخر ما انتهى إلينا من أخبار الحمقى والمغفلين، والحمد لله وحده.)

---

(١) القيراط هنا حبة.

(٢) نصف الدانق هو قيراط.

(٣) من هنا إلى أواخر صفحة ١٢٨ لم يوجد في النسخة التيمورية، فنقل عن النسخة المطبوعة.

الفهرس